

د. عيسى برهومة

اللغة والجنس

حضرات لغوية في الذكورة والأنوثة



اللغة والجنس

حريات لغوية في الذكورة والأنوثة

د. عيسى برهومة



2002

رقم التصنيف: 410

المؤلف ومن هو في حكمه: الدكتور عيسى برهومة
عنوان الكتاب: اللغة والجنس: حطريات لغوية في الذكورة والأنوثة
الموضوع الرئيسي: 1- اللغة العربية
2- قواعد اللغة

رقم الإيداع: 2002/8/2057

بيانات النشر: عمان: دار الشروق

• تم إعداد بيانات القهرسة الأولية عن قبل المكتبة الوطنية.

(إدمك) ISBN 9957-00-209-0

- اللغة والجنس: حطريات لغوية في الذكورة والأنوثة
- الدكتور عيسى برهومة
- الطبعة العربية الأولى: الإصدار الأول، 2002.
- جميع الحقوق محفوظة.



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/4618191/4624321 فاكس: 4610065

ص.ب: 926463 الرمز البريدي: 11110 عمان - الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله المنارة - شارع المنارة - مركز عطل التجاري هاتف 2961614/02

نابلس: جامعة النجاح - هاتف 09/2398862

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف: 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استخدام المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage system, without the prior permission in writing of the publisher.

• لوحة الغلاف للفنان: زهير شعوني.

• التصميم والإخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفوز الألوان والأقلام:

دائرة الإنتاج/ دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/1 فاكس: 4610065 عمان (11110) الأردن

E-mail: shoroljo@nol.com.jo

المحتويات

7	- تصدير
9	- المقدمة
13	- الباب الأول: أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي
15	- اللغة في المجتمع
30	- تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي
45	- الباب الثاني: نظرة اللغة إلى الجنس
47	- تصنيف الجنس في اللغة
71	- الثقافة، اللغة، التحيز
93	- النحو والتحيز
102	- الدلالة والتحيز
106	- التحيز في المخیال الشعبي
113	- الباب الثالث: الخصائص اللغوية للجنسين
121	- الخصائص الصوتية والنطقية
126	- الخصائص النحوية والصرفية
130	- الخصائص الدلالية
133	- الخصائص الأسلوبية
141	- السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين
149	- الخاتمة
153	- الملاحق
179	- المصادر والمراجع

تصدير

يقلم الدكتور نهاد موسى
أستاذة العربية في الجامعة الأردنية

اللغة مرآة المجتمع، والمرأة نصف المجتمع، فهل كانت اللغة مرآة للمرأة؟ وهل أنصف المجتمع نصفه؟

اللغة مرآة، والمجتمع كيان إنساني متقل بالإرث الثقافي وصيرورة البلى الفوقية كالاقتصاد والتشريع.

قد تبدو اللغة محايدة إذ تجعل (الجئن) مذكراً وتجعل (الشجاعة) مؤنثاً، كما تجعل (السفاهة) مؤنثاً و (الحلم) مذكراً.

واللغة نظام من العلاقات يقصد إلى الفرق والإبانة كما في تمييز (الظريف) عن (الظريفة) و (الكريم) عن (الكريمة) بالتاء، ولكن المجتمع قد يجعل (معاوية) المذكر على لفظ المؤنث، ويجعل (سعاد) المؤنث حقيقة على غير صيغة المؤنث فتتأصل اللغة لذلك. فإذا اختص اللفظ بالمؤنث جاء دون علامة التأنيث كما في (كاعب) و(ناهد) لأن مقتضى اللغة الإبانة في الدلالة على المقاصد.

وتقول اللغة كما يرى سيوييه: جاء الرجال والنساء قيل، فلا يجعل للرجال منزلة يكونون بها أولى من للنساء، ولكن المجتمع يرى في الترتيب أفضلية المقدم في اللفظ وفقاً لعرف خارج عن نظام اللغة.

وإذا خاطبت اللغة جمعاً حاشداً من النساء فيه رجل واحد بضمير جماعة المذكر فاستعلن فيها تحيز واضح لمكنتنا اللغة نفسها -إن شئنا- أن نعبر عن الزوجين الذكر والأنثى بمثل قول امرئ القيس فنقول: قفا نيك! فنلوذ

بخطاب المتنّ نوجّهه توجيهاً يرفع التحيزَ رعية لمشاعر الأغلبية في مثل هذا الموقف.

وإذا رسم للمجتمع للمذكر دوراً مركزياً ليقرأ ويسافر ويعمل وجعل للمؤنث على الهامش (نطبخ) فإنّ اللغة لن تلبى علينا أن نوزع الأنوار بالحق والإنصاف فنقول (نقرأ) كما نقول (تعمل) كما نقول (يعمل).
اللغة مؤنثة، والثقافة مؤنثة، والمجتمع مذكر، فليها محايد؟ وأيهما متحيز؟
وهل من سبيل إلى التدخل في اللغة لنفي التحيز الخارج عن مقتضى الإهالة؟
وهل يكون التدخل في النظام اللغوي وحده تدبيراً كافياً لنفي التحيز الثقافي أو الاجتماعي؟

في هذه القضية الشائكة حقاً يأتي هذا الكتاب رحلة شائقة في عوالم الاجتماع الإنساني عبر الزمان والمكان يتحرى صورة المرأة في تلك العوالم ولغاتها وثقافتها ويقف باعتراف خاص إلى صورة المرأة في العربية وثقافتها.
إنّ هذا كتاب رائد في حقل بئني ما يزال في الدراسات العربية بكرة، وهو يجري، في صورة التعبير، ببيان يليق به من الألق والأناقة، وينطلق، في مضمونه، بجرأة حذرة متوازنة للخطى على هذا الدرب السديمي الذي تتدافع فيه الرؤى وتتقاطع المتنّ.

مُتَكَلِّمَةٌ

في البدء كانت للكلمة، وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدء والخاتمة، ظل الإنسان يتقرب إلى وسيلة توفر له للتخاطب والتواصل لتحقيق ماهية الاجتماع البشري، فكانت اللغة ضالته، فشغل بها ولودعها عنايته ووكدته، وعدّ معرفة كنهها جزءاً من سعيه لمعرفة ما التبس عليه من أسرار الوجود، فغذت موضوعاً أصيلاً من موضوعات الفلسفة الإنسانية.

لم تكن اللغة منذ تخلقها من صنيع فرد، إنما مواضعة جماعية يتواطأ على تمثيلها الأفراد، فهي ظاهرة اجتماعية أودعها مِرَاس الكلام في الجمهور، تتبلر في تلافيف المجتمع. وبالتالي تغزو المعطيات الاجتماعية الخلفية التي يتعين الرجوع إليها لتحديد ما نرومه من الكلام، وتمييز الفئات الاجتماعية التي توظف السلوك اللغوي في مناشط الحياة المتراجحة. إذ إن هذا السلوك مطبقة الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفضائهم المختلفة.

والفرد في ممارسة السلوك اللغوي مشروط بالنظام الاجتماعي الذي يحدد الاختيارات اللغوية في عملية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فإن تلك الشروط الاجتماعية والثقافية تحدد معايير السلوك اللغوي ونماجه الاجتماعية المقبولة.

ترجع صلاتي بمسألة اللغة والجنس إلى بضعة سنوات خلت، فقد استوقفتني الأسفار التي انبرت لبحث التفكير والتأنيث، إذ حظيت هذه المسألة بما لم تحظ به كثير من مسائل اللغة تقريراً ومصنيفاً. ولعل هذه الوفرة في دروس المسألة قديماً وحديثاً سكب في النفس رغبة للوقوف إلى أمرات المسألة.

ظننت مسألة اللغة والجنس تأخذ بنياط فكري، فرغبت في أن أواصل بحث المسألة من وجهة اجتماعية، ولا سيما بعد أن اطلعت على مصنفات في

علم اللغة الاجتماعي، فاستقرّ في النفس هلجس أن ألجّ إلى دراسة "اللغة والجنس في السياق الاجتماعي"، ومما قوى العزم فيّ أنّ مسألة اللغة والجنس تستعّان في فضاء الثقافة والبحث في الفكر النقدي المعاصر، بعد نهوض الحركات النسوية في العالم الحديث، فراحت هذه الحركات ومناصروها من منظمات حقوق الإنسان تدعو إلى ترسيم علاقات عادلة بين الأعراق والفئات المستثناة من القوة Powerless كالعبيد، والنساء، والأطفال. واستشعرت الحركات النسوية ومنظمات حقوق الإنسان أنّ ثمة تحققات لغوية تتطوي على قدر من التحيز للذكور، واختزال للحضور الأنثوي، فانبثرت لتسلط الضوء على أشكال التحيز، وسبل تعديله. وتطلّعت إلى لغة محايدة تمثّل الجنسين بنصفية.

إنّ هذا القيص من العناية بموضوع اللغة والجنس من أنظار معرفية متنوعة، دفعت بي إلى استقراء المسألة في العربية، لأنّ جلّ ما كتب في السلوك اللغوي واختلاف الجنسين كان بلغات أجنبية، أو طبّق على لغات أجنبية، ولم تحظ العربية بدراسة مستقلة للمسألة من وجهة اجتماعية فيما انتهت إليه من بحث واستطلاع.

صدرت في دراستي هذه عن حرمة من المعطيات، نحو: الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، وحقيقة الفروق بين الجنسين، والتحقّق من التحيز اللغوي في العربية، ودراسة الخصائص اللغوية بين الجنسين، والعوامل التي تسهم في تشكيلها.

ورمت من هذه الدراسة استقفاك العلاقة بين اللغة والمجتمع، واختبار المقولات التي تعفورت موضوع اللغة والجنس، وتوظيف معطياتها في دراسة العربية. أنست في هذا البحث منهجاً لغوياً اجتماعياً؛ لاستجلاء السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة، وتلمّس العلاقة المستكنة في اللغة والتنظيم الاجتماعي.

وقد أُنحِصَتْ وَشِعِي لأفيم البحث على طريقة مستقيمة، فأُفِدَتْ من معطيات هذا العلم الحديث بألف العناية، وسُخِرَتْ كثيراً من هذه الأنظار لاكتناء مشكلة البحث مقارنة وتقريراً.

ولقد حَرَصَتْ على أن أُلَمَّع إلى البحوث والدراسات التي أُجريت على اللغات الأخرى؛ لظني أن هذه الإصرافات تُقْضِي إلى تراخُب الرُؤْي، علاوة على أنها تُغْني الدرس اللغوي في العربية؛ لفزرة التصانيف التي تواردت على بحث هذا المُشْكل.

وَيُسْتَشْعَرُ مما تمَّ عرضه من دراسات في مسألة "اللغة والجنس"، أن هذا المُشْكل يعتوره أضرب من العلوم والفنون، كل يأخذ منه بطرف في تناوله ومداولته. وقد ارتأيت أن أُنْتَحِي وَجْهَةً تتقاطع مع هذه الدراسات في بعض مسالكها، وتنهج شِرعاً مبالغة في دروب أخرى.

ولأنَّ المسألة التي أحاورها قضية جوهرية تمتدُّ في الزمان والمكان؛ تعين هذا العرض الذي يتجاوز الفواصل الزمانية والمكانية، لأنَّ المسألة التي نُعْرضُ لها ضاربة في أطْناَب الماضي، وممتدة في أفق الحاضر؛ ولعل ذلك أفضى بي إلى المِراوِحة بين المتقادم والحادث عرضاً، وتحليلاً، ومقارنة. فحَرَصْتُ في هذه الدراسة على تنوُّع المصادر والمراجع التي تمُدُّ خيوطها إلى زُمرة من المعارف، وتستدعي أنظار القدماء والمحدثين في بحث المسألة. توزَّعت الدراسة على ثلاثة أبواب:

- حاولت في الباب الأول أن أستجلي مكانة اللغة في المجتمع، وأن أُلْمَسَ مُسوِّغاً منهجياً للعلاقة المتحصِّلة بين العامل الاجتماعي والسلوك اللغوي.
- وفرغت في ذلك إلى دراسة البنى الاجتماعية وأهميتها في تشكيل نواتها، وعرضت لأنظار المشتغلين في توصيف اللغة والمجتمع.

- وفي الفصل الثاني من هذا الباب ألمحتُ إلى التجليات الاجتماعية في السلوك اللغوي للجنسين؛ لاستبصار التفاعل اللغوي مع العوامل الخارجية الراسخة في الاستعمال.

• في الباب الثاني عرضتُ لفكرة اللغة إلى الجنس، فعليتُ المسألة في النظام اللغوي، لاستجلاء تصنيف الجنس في العربية، وهل كان هذا التصنيف مُتسقاً والجنس الطبيعي؟ وتتبعُ موقف الباحثين في هذه المسألة التي أشككت عليهم قديماً وحديثاً.

ولم يكر بُدُّ من أن أتوقف عند مسألة الثقافة واللغة والتحيز؛ إذ إن الثقافة تُعدُّ للمرأة الصانقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من قيم، ونظم، وعادات، وتقاليد، واتجاهات.

ويؤثر التطور الثقافي والحضاري لأي أمة تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفاظ، إذ تلتحي بها وجهة معينة قد تبعد قليلاً أو كثيراً عن طولتها الأولى.

وتوجهتُ لاستشعار الصلة الناعمة بين الثقافة واللغة. وارتباط ذلك بالتحيز عبرَ تحققات اللغة، كالنحو، والدلالة، والمتعين الشفاهي.

• ثم تدارنتُ في الباب الثالث الخصائص اللغوية للجنسين، فعرضتُ لمستويات اللغة؛ لاستقراء الخصائص اللغوية، وقد صدرتُ في استقصاء هذه الخصائص عن الفرصيات التي أودعها للدارسون والدارسات في موضوع البحث.

وأقلتُ البحث بزُمرة من الأقطار مستصفاة.

وشغعتُ البحث بلحق انطوى على استقراء الصفات المحدودة والمدمومة للجنسين، في إضمامة من مُعْجَمَات المعاني.

وآمل من بعد ذلك أن يكون البحث مساهمة في الدرس اللغوي الاجتماعي، ودافعاً لدراسات تتوسلُ للغة لاكتناه السياق الاجتماعي والثقافي.

الباب الأول

أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي

- الفصل الأول : اللغة في المجتمع.

- الفصل الثاني : تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين.

اللغة في المجتمع:

الإنسان مدني بالطبع، يرتبط بالجماعة ليقيم أوطان حياته، ويمنح عيشه السرورة والنقاء، لذا تطلع إلى إقامة العلاقات مع الآخرين، وتفاعل مع محيطه لتحقيق غاية الاجتماع البشري، فليس بمكة الفرد وحده أن يحقق مفهوم المجتمع بالمتعين التواصل والتعاون.

لما برز الأفراد يفكرون في وسيلة لتحقيق التواصل بينهم، وبدلوا التوكيد لاجتراح أسلوب يتحاطبون عبره، فكانت اللغة صالتهم في هذا البحث الشاق.

لذا علل (مسكويه) اللجوء إلى اللغة بالسعي لتحقيق الاجتماع الإنساني؛ لأن الفرد وحده عاجز عن توفير حاجاته:

"لأن السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام أن الإنسان الواحد لما كان غير مكف بنفسه في حياته، ولا بالغ حاجاته في تنمية بقاء مدته المطلوبة ورمائه المقدر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقاءه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاء منه بالمعونة".¹

فلغة أثرها في مناطق الحياة المتنوعة، وهي ولادة حاجات الفرد والجماعة، ولعل هذا ما دعا أصحاب نظرية (Yo-He-Ho) إلى تفسير نشأة اللغة بأنها: "أصوات جماعية صدرت عن مجموعة من الناس في إنشاء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى تعاون على أدائه، وأكتوا أن اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان مع غيره، ولم تنشأ وهو منعزل عن غيره من البشر".²

¹ مسكويه المراسل والتواصل، ص 6.

² إبراهيم أبيي، دالة اللغة، ص 26.

التغير اللغوي اجتماعياً، لأن هذا التغير يتطور بشكل مستقل ومختلف باختلاف الأفراد، ويخلص من ذلك أن للفرد يمكن أن يمثل الجماعة ...¹.

ويصم إلى مذهب (لا اجتماعية اللغة) نفر من اللغويين، نحو: سويت (Sweet) ومدرسة براغ، وترويتسكوي (Troubetzkoy)، ومارتنيه (Martinet)، وعالم اللغة الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) الذي أقام نظريته في اللغة على المثير والاستجابة الكلاميين في الفرد وليس في الجماعة اللغوية.

كما أن تشومسكي (Chomsky) أهل العمل الاجتماعي في نظريته اللغوية (التفريقية - التحويلية) وافترض وجود سامع مثالي غير متأثر بالتنوعات الكلامية في المجتمع.

ولكن هذه الأنظار اللغوية لم تلق ارتياحاً لدى اللغويين الذين يؤكدون اجتماعية اللغة، ويرون أن تنحية الأثر الاجتماعي في دراسة اللغة بُعداً انحرافاً عن الدراسة العلمية للغة.

انتقد ميه (Meillet) مفاهيم دي سوسير اللغوية، ونعتها بأنها ناقصة ومجتزأة؛ لأنها لا ترى في اللغة إلا واقعاً ذهبياً غير متأثر بالعناصر الاجتماعية التي لا يمكن دراسة أي لغة بمعزل عنها.²

واعترض هدسون (Hudson) على المدرسة التفريقية - التحويلية؛ لرؤيتها المجردة للغة، ورأى أن "أي محاولة لتفسير الطواهر اللغوية المختلفة دون الرجوع إلى المجتمع - وذلك ما قامت به المدرسة التفريقية التحويلية بدورها كافة- إنما هي محاولة عشية تنطوي على مثالية متطرفة، ولن تؤدي

¹ طلال طه: علم اللغة الاجتماعي، ط 1، مكتبة الفكر، ط 1، ص 112.

² See The Main Trends in modern linguistics English by Maurice Leroy (Translation by G. Price), p.p 93-99

هذه المحاولة إلا إلى إجابات الدارسات اللغوية، فاللغة سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول¹.

وتوجه عالم اجتماع اللغة هارمز (Hymes) بالنقد إلى البحث اللغوي الحديث، لإمالة المعطيات الاجتماعية في اللغة، ويرمي علم اللغة بالتقصير لتركيزه على الشكل اللغوي مجرداً، أو منفصلاً عن العناصر المؤثرة فيه، مع أن صلة اللغة بالمجتمع وثيقة، وتأثيرها بمعطياته ومكوناته أمور لا جدال فيها².

ومن أنصار المدرسة الاجتماعية جاردنر (Gardener) الذي أكد العنصر الاجتماعي في اللغة فمن البحث أن نقول: إن هدف اللغة هو التعبير عن الفكر، إذ ما الداعي الذي يوجب على الناس التحول هنا وهناك معبرين عن أفكارهم؟ إن مجرد التفكير يكفي لقضاء حاجات الناس العقلية الصرفة.

وإذا كان الغرض من استعمال اللغة لرضا رغبات من النوع الذي يمكنهم الحصول عليه دون مساعدة خارجية، فإنه في قدرتهم استعمال جوارحهم وقواهم الجسمية، وإذا كانت عواطفهم تستدعي التنافس الصوتي فيمكنهم الصياح، أو الضحك، أو التأنوس.

ولكن اللغة بتعاملها بالمتعمد والمقصود مع الأشياء لا تُفسر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات، بل يمكن تفسيرها وتوضيحها بطريق الحقيقة الثابتة التي تفيد أن النوع الإنساني مولع بالاجتماع والمصاحبة ويعتمد في حياته على التعاون³.

¹ هارمز : علم اللغة الاجتماعي، رجمة حمود عيك، ص 7

² معطى لطفي : اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص 45

³ كمال شر : علم اللغة الاجتماعي، ص 31

لأن اللغة تتجاوز وظيفة للتفكير المجرد، والتعبير عما يعمل في أقطار النفس من حظرات الباطن، لتشكل أيضاً استجابة للمتلقين للغة، والطروب الرومانسية والمكانية للحدث الكلامي.

إنها تمنح شعوراً بالانتماء إلى مجتمع المتحدثين بها، وتعين الفرد على التوافق الاجتماعي والتكيف النفسي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسراً لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطورها. وقد أطلق الأنثروبولوجي (ماليونوفسكي) على هذه الوظيفة "التواصل الودي بين الناس" *Phatic Communion*¹.

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية تُقرّر لأن خروج أي فرد على أي نظام فيها يُعرضه للجراءات الاجتماعية، أو للعقوبات المادية والأدبية للحيلولة بينه وبين ما يهدف إليه في التمرد عليه، فإن اللغة هي أبرز هذه الظواهر الاجتماعية التي تنعكس عليها ردود الفعل الاجتماعية، فإذا حلول فرد التعلق خارج المنظومة اللغوية للجماعة، فهو مُعرض للانتقاد والسخرية.

"أصل اللغة عامة يعود إلى الطبيعة الاجتماعية للإنسان، وترتبط وظيفة اللغة والتغيرات التي تطرأ عليها ارتباطاً وثيقاً بالبنى الاجتماعية من جهة، وديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع من جهة أخرى ..."²

يمتد النسيج اللغوي في الثقافة ومناشط الحياة للجماعات، فليس الصعب استجلاء ماهية السلوك إلا بالعودة إلى المحيط الأوسع للطروب التي يتم فيها الفعل الكلامي.

¹ ينظر: عبد الفتاح عفيفي، علم الاتصال اللغوي، ص 21.

² روبرت ن. كينان، علم اجتماع اللغة، د. ليونيل ك. أحمد ياقوت، ص 11.

وينظر أيضاً: مولييت غارمادي، فلسفة الاجتماع، غريب خليل أحمد علي، ص 28.

وكما توغل الفرد في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانة متزايدة، لا في حياته الاجتماعية وحسب، بل في سلوكه وتفكيره وأحاسيسه أبصاً. لذا يجب أن تُقرس اللغة ونولميسها في إطار للعلاقة الوثيقة القائمة بينها وبين تاريخ المجتمع؛ لأن اللغة - أي لغة - نعدُّ اليوم حصيلة اجتماعية ونتاجاً للتاريخ الاجتماعي.

ويرى (سنالين) أن اللغة: "إحدى الوقائع الاجتماعية العاطة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان لوجود أي لغة خارج نطاق للمجتمع، فلا نستطيع فهم اللغة وقوانين تطورها إلا إذا توجَّهنا لدراستها من حيث صلتها الوثيقة بتاريخ المجتمع أي بتاريخ الشعب الذي تنتمي إليه اللغة؛ موضوع الدراسة الذي أبدعها، وتحيا على لسان أبنائه ..."¹

يتضمن المعنى الاجتماعي الثقافي Social - Cultural Meaning، أو ما يسمى بالمعنى السياقي Contextual Meaning محتويات المعنى للكلام أو التعبير، ويقصد به مغزى الكلمات ضمن الجملة في موقف معين، أو في محيط اجتماعي معين.

إن هذا المعنى يقتبس من الكلام المستعمل في الحياة اليومية الذي يفسر في مجتمع إنساني معين، كما أن هذا المعنى هو أكثر عرصة للتعبير والتبديل عبر التاريخ من أي معنى آخر في اللغة.

"لعل المعنى الاجتماعي - الثقافي يختلف قليلاً أو كثيراً من محيط إلى آخر، ومن موقف إلى آخر، ومن الجلي أن هذا المعنى هو ذو أهمية في فهم

¹ دراسات لغوية - في ضوء النظرية - د. ميشال عاصي، ص 7

المعنى وإدراكه للكلمة أو التعبير؛ لأنَّ المعنى الكلي لا يتوقف على المعنى اللغوي وحسب، وإنما يقترن بالمعنى الثقافي والاجتماعي ...¹

ويعدّ جورج ميد (George Mead) للغة ركيزة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعي التي يتعلّم من خلالها اتجاهات الآخرين وتوقعاتهم العامة، فابنة كما يتمثلها: تمنع الوسائل للملائمة، والرموز المشتركة التي بواسطتها يبلغ الطفل عقله البشري، فالطفل طبقاً لرأي (ميد) يتعلّم التفكير، ويشعر بالطريقة التي يؤديها الآخرون ...²

ولا يقتصر عمل اللغة على العلاقة الطبيعية التي بواسطتها نميز بين جماعات المتكلمين، بل يتعدى هذه الوظيفة تحديد الطبقات الاجتماعية، والمرحلة التي يشغلها الأفراد أو الطبقة التي ينتمون إلى الانتماء إليها. فهي بوصفها نظاماً اجتماعياً تتحرّ مناحي كثيرة، وتظهر بأشكال متنوعة، لكل فئة من الناس أسلوبها الخاص في استعمال اللغة حسب طبقتهم الاجتماعية، فالرجال ألفاظ معينة تشيع في فصائلهم لا تعرفها النساء، ولا يتعلمن بها أبداً. وللأطفال كلماتهم وعبارتهم التي تجعل لهم عالماً اجتماعياً متميزاً، وللشباب والكهول والشيوخ مثل هذه الألفاظ الخاصة التي تُعبّر عن مرحلة من مراحل العمر وتشبه العلامة الفارقة التي تميز هذه المرحلة ..³

لذا فإنَّ محتوى التعبير اللغوي يقتضي معرفة بتقاليد اللغة وأعرافها، وتقاليد التعبير وأسلوبه عند متكلميها، وطريقة تفكيرهم التي تنعكس على أسلوب التعبير الذي يستعمل لخاية المشتركة للوجدانية الاجتماعية، لأنَّ

¹ صالح مهدي هريفا: العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجتمع العلمي العربي، 25، ص 318

² Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching by, J.B. pride, p 5

³ وليد نصيب: الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة القبيل، 97، ص 74

الحهل بتلك التقاليد يقتضي إلى أخطاء في الاستعمال الاجتماعي للغة، بل ربما أوبقت كلمة صاحبها؛ لجهله تقاليد اللغة ودلالاتها.

لحتفي اللغويون العرب بالمنحى الاجتماعي - الثقافي للغة، فربطوا الكلام بإطاره الاجتماعي، وأمعروا إلى أثر المقام في تشكيل المعنى، وقد صدروا في ذلك عن إدراك لهذا الحراك اللغوي الاجتماعي.

تحدث الجاحظ عن لغة الجوّاري والكواكب والنواب¹، وألمح إلى التنوعات اللغوية المتأثرة بالتنوعات الاجتماعية بقوله: "ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تزل بصاعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة"².

وأشار الجاحظ إلى تنوع الكلام بتنوع المتكلمين من حيث الثقافات والبيئة والجنس؛ "وقد يتكلم للمعلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه متحيزاً فاحراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه بيطي. وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فأبداً تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خراساني، وكذلك إن كان من كتّاب الأهواز"³.

وتنبه محمد سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" إلى أثر المحيط الاجتماعي والبيئة في التغير اللغوي حين تعرض إلى شعر عني بن زيد، فقال: "كان يسكن الحيرة، ويُرَكن للريف، فلان لسانه، وسهل منطقه"⁴.

¹ الجاحظ البيان والبيان 146/1.

² الجاحظ المبرور، 368/3.

³ الجاحظ البيان والبيان، 69/1.

⁴ محمد سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 14.

والنكت للخبيرين العرب إلى السيلق حين تعرضوا للمقام، ذكر بشر
ابن المعنر في صحيفته أنه:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوزن بينها وبين أقدار
المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من تلك كلاماً، ولكل حالة
من تلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني
على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات..."¹

وتحدث ابن طباطبا عن الموقف، وعده أساساً لخسن الكلام وجودته:

"ونحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي
بعد معنى لها؛ كالمدح في حال المفارقة، وحضور من يكبت بإنشاده من
الأعداء، ومن يسرُّ به من الأولياء. وكالهجاء في حال مبالاة المهاجي، والخط
منه حيث ينكى فيه استماعه له. والتمزيق في حال جزع المصاب، وتذكر
مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه، وكالاعتذار والتصلُّ من الذنب عند
سلِّ سحيمة المجني عليه، المعتذر إليه. وكالتعريض على القتال عند انتقام
الأقران، وطلب المغالبة. وكالعزل والسب عند شكوى العاشق، واهتياج
شوقه وحينه إلى من بهواه..."²

وتنتهت البلاغة العربية إلى أهمية الموقف عند تأليف الأسلوب،
فنهض علم المعاني إلى مراعاة الموقف، وقساق الكلام مع مقتضى الحال.
ويترى علم المعاني أن أي تغيير في التشكيل اللغوي يؤدي تلقائياً
إلى تغيير في معناه، فالعلاقة بين الشكل والمضمون لازمة وحتمية.

ولم يقتصر الاحتفاء بالمقام على البلاغيين بل التفت إليه اللغويون
والنحاة أيضاً، فعلى الرغم من معيارية اللغويين العرب في تقعيد اللغة إلا أنهم

¹ لاحظ فيض الدين، 138/1-139.

² ابن طباطبا، حيل الشعر، ص 54.

لم يفعلوا الأثر الاجتماعي في الحراك اللغوي، فقد تنبهوا إلى أثر البيئة حين جمعوا اللغة، وأولاً النحاة إلى الوجهة الاجتماعية في الدرس النحوي، فكثير من دروس النحو لا يمكن استيعابها وفهم خواصها التركيبية، إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية التي توظف فيها، نحو: درس النداء الذي يفرص في جوهره مبادياً ومنادى، ولا يكون النداء في فراغ، إذ يقتضي الأمر وجود طرفيه، وملاتمة حرب النداء للموقف الكلامي.

وإذا كانت (الاستغاثة) هي نداء من يخلص من شدة أو يُعين على دفعها، فإنها تبط خاص من النداء له عناصره التركيبية، وتقتضي إصغاء. وهذا يُجني الوظيفة الاجتماعية لهذا الأسلوب، إذ لا ينادى إلا المُمَيَّر؛ لتعذر الإجابة من غير المعائل.

ويتعين مراعاة المقام الاجتماعي في الدرس النحوي حين يوظف "الإغراء والتحذير"، و"الحذف"، و"الاستفهام"، و"الإيجاب والطلب"، و"النداء المقطوع"، وغيرها من دروس النحو؛ إذ لا يمكن استيعاب هذا التوظيف وفهم خواصه التركيبية إلا بربطه بمقاماته الاجتماعية التي تتحقق فيه، فاللغة تتشكل في أساليب متعددة تبعاً للموقف الذي تستعمل فيه.

وأومض بعض العلماء إلى التنوعات اللغوية للجنسين، هي تعليق لأبي بكر الباقلائي على قول امرئ القيس:

لله لويلات إنك مُرْجَلي

قال الباقلائي: "وهذا من كلام للنساء".¹

¹ الباقلائي، بصائر هرات، ص 81.

وحيث درس ابن جني أسلوب النبوة، نكر أن "كثير من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"¹. ولم يُغفل ابن جني الوجهة الاجتماعية في مسجده، فاللغة - وفق تعريفيه: "أصولت يُعَيَّر بها كل قوم عن أغراضهم"².

فهي ظاهرة اجتماعية تتطور تبعاً لحاجات المتكلمين وأغراضهم، والمجتمع مجموعة من الناس تترايط من أجل غرض أو حاجات، واللغة وسيلتهم للمضمونة في التواصل والخطاب.

ولعلنا نستشعر الأثر الاجتماعي في ظاهرة التدرج اللساني، فلأن أطفال حديثهم الخاص الذي يميزهم من غيرهم من البالغين، وكذا للنساء لغة لا يستخدمها الرجال، وهناك مجتمعات تستخدم فيها الطبقات طريقة في الكلام تميزها من غيرها.

لفظاهرة التدرج اللساني، والتنوعات اللغوية تعكس أبعاداً متنوعة، كالأصل العرقي، أو الأصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو الجنسي .

وعلى الرغم من أنه توجد لغات بعدد الأفراد، فكل سمة اللغوي الذي يميزه من الآخرين إلا أن هذه التنوعات بين الأفراد لا تُقيم قطيعة بين أعضاء الجماعة اللغوية، فهم يتواصلون من خلال الجوامع المشتركة التي تميز هذه الجماعة من غيرها.

فالسلك اللغوي والاجتماعي في حالة حركة واحتشاد دائمين، وهذا ما أثبه ديتمار (Dittmar) إذ يرى: "أن السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأن حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة"³.

¹ ابن جني، المسح في العربية، ص 12.

² ابن جني، الخصائص، 33/1.

³ An introduction to Sociolinguistics, by, Wardhaugh, P 12.

ومما يقضد هذه الوشائج بين اللغة والمجتمع، أن لكل مجتمع ثقافته الاجتماعية ومعتقداته الدينية التي يمارسها الأفراد في كثير من الأحيان عبر اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تمارس سطوتها على أعضاء الجماعة تُلقى بطلانها على السلوك اللعوي. فكل جماعة لغوية طرائقها في التحية، والتهنئة، والعزاء، واللقاء، والجلوس، والحفلات، والوداع، وممارسة الشعائر الدينية، وأي خروج عن هذه الأعراف يوقع الأفراد في الحرج والسخرية وقد يعرضهم للإهانة والمقوبة¹.

فهذا أن إنساناً هنا عريساً بقوله: "عظم الله أجركم" إن لم تحولت التهنئة بالفرح إلى فال شر يستهجه السامع، على الرغم من أن العبارة تحمل معنى الدعاء، ولكن لم يراع صاحبها الموقف الاجتماعي في ذلك.

ولابد من وضوح الهدف في السياق، فقد نهدف من استعمال اللغة إلى إقناع الآخرين، أو إغضابهم، أو مجاملتهم، إلى غير ذلك من أهداف متنوعة تتسوق والعلاقات الاجتماعية.

فوظيفة اللغة البارزة وطبيعة اجتماعية: فالعبارات المختلفة المستخدمة للتحية، وتلك المستخدمة للتأليب عند مخاطبة الآخرين لها وطبيعة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء كما تدل على العلاقة الاجتماعية بينهما².

إن مراعاة للمقام الاجتماعي بلطف النظر يُكسب المتحدث القدرة على التأثير، ويوفر له شرطاً مهماً من شروط الخطاب، فقديماً قالت العرب: لكل مقام مقال" وفي هذا إقرار لأهمية السياق، ومراعاة المقامات وفد للعوامل

¹ ينظر علي عبد الواحد والي. لغة المجتمع، ص 3-8

² نعيم عرما. أقباء على الدراسات اللغوية للمسلم، ص 210-211

المرتبطة بالمقال: كالعمر، والجنس، والتكوين الثقافي والاجتماعي، وهذه ترتبط بشخصية المتكلم أو السامع.

ويبغى أن يُراعى في السياق عنصر الموضوع: فحين يستعمل الإنسان اللغة في موضوع ما، يقتضي ذلك الالتفات إلى الاتساق والمفردات المستعملة، فلا يُوظف مصطلحات علمية في سياق شخصي، أو حماسي. فالكلام - كما وصفه فيرث (J.R. Firth) - ليس ضرباً من الضروب، يُلقى في فراغ، فمدار فهم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي مُعَيَّن.

احتفى (فيرث) بالسياق فحدّد مفهومه للمعنى: بأنه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، فمعاني تلك العناصر تتحدد وفق استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة ما معنى لا يثبت أن يتغير تبعاً للموقف المُوَضَّف فيه.

فالإنسان يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية متنوعة تُحدّد شكل الأسلوب الذي عليه أن يعتمد، ونوعية الكلمات التي عليه اختيارها، فثمة إطار اجتماعي تُستعمل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته، وتتكيف مع عناصره¹.

ومن غنوا بالسياق عالم الإناسة مالينوفسكي (Malinowski) الذي أكد ضرورة دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي: فهذه المعطيات لا تتحدد اعتباطاً، فالكلمة تُستعمل كلما أمكن أن تؤدي عملاً، لا لوصف شيء أو ترجمة أفكار وحسب.

معظمي نظري اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص 47

"بحث (مالينوفسكي) وظيفة اللغة حين درس حياة السكان في "جزر تروبريان العربية" من (غينيا الجديدة)، فلاحظ سلوك سكانها البدائي وعلاقة هذا السلوك بالاستعمالات اللغوية، وانتهى من بحثه بجملة من الملاحظات منها: أنه لا بد لدراسة اللغة في الجماعات البدائية من أن تمهد لها بدراسة أخرى هي دراسة النشاط العلم، إذ إن اللغة في الواقع هي طريقة من طرق السلوك الإنساني في طرف عملي خاص، وهي عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته¹ .

إن حالة التفاعل بين اللغة والمجتمع توجب تأثيراً وتأثيراً بين أنومي المعادلة، فاللغة نتاج للفعل الجمعي الذي هو جماع تفكير أفراد المجتمع وعقولهم.

وتأسيساً على هذه الوظيفة، وصف (مالينوفسكي) اللغة بالمرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من ثقافة ونظم وعادات وتقاليد واتجاهات.

"أكد علماء اجتماع اللغة أن التطور الثقافي والحضاري لأي لمة يؤثر تأثيراً بالغاً في حلولات الألفاظ، حيث يتجه بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً، أو كثيراً عن أوصافها الأولى تبعاً لدرجة التطور الثقافي"².

ولعل أسلوب التصنيف بين اللغة والمجتمع أنصى بالدورسين إلى إعلان علم مستقل أطلق عليه "علم اللغة الاجتماعي" (Sociolinguistics)، شغل برصد اللغة في سياقها الاجتماعي، والوقوف إلى التغيرات الحادثة من الحركة المتبادل بين اللغة والمجتمع.

وقد صدر علماء اللغة الاجتماعيون عن قناعة ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوفر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية. وهي تكحل في علاقة

¹ لويس جوس، الفصحى والفرد والمجتمع، د. عبد الرحمن محمد، ص 12

² ينظر: د. عبد الفتاح عيسى، علم الاجتماع القومي، ص 22 وما بعدها.

حدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، وهي نسق علم يشترك في أتباعه أفراد المجتمع، وبها يتواصلون فيما بينهم؛ لأنها أظهر للخرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي على الدول رمز لما بينهم من تشارك.

ليست اللغة من صميم فرد، إنما هي تعلق يجري بين أعضاء الجماعة تقتضيها طبيعة الاجتماع، فالعلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة العمل والفاعل لكليهما. وليس بمكنة عالم الاجتماع نزغ الأثر اللغوي في دراسته للمجتمع، كما أن دراسة اللغة تقضي إلى النجالية بالسياق الاجتماعي، إذ لا يمكن فهم اللغة خارج سياقها الاجتماعي، ولئن علم اللغة النظري العام لا يمكن أن يواصل مسيرته دون الإفادة من إنجاز علم اللغة الاجتماعي بوجه خاص¹.

ومما شجع على نشوء علم اللغة الاجتماعي أن اللغة ظاهرة متشعبة الجوانب، فهي في وجودها بناء ذاتي بألف من مستويات صوتية وصرفية ومعجمية ونظمية؛ لأنها في أدائها الطبيعي تتحقق بالمنطوق والمسموع، وهي كيان نفسي ترتبط بالدوافع والحاجات، وهي ظاهرة اجتماعية تمتد في بنية المجتمع وتكوينه. فاللساني يتوخى مهجاً يدرس تطور الألفاظ، وارتباط المفردات والتراكيب بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.

فاللغة ليست بناء مجرداً من المؤثرات الخارجية، لذا كان ينبغي أن يعبر علماء اللغة اهتماماً لتأثير الحياة الاجتماعية على اللسان، فثمة تفاعل بين العوامل الاجتماعية وكل من الكلام، والتنوعات اللغوية، واللهجات والأزدواج اللغوي، والخطاب السياسي والأدبي والإعلامي ...

فنصير الوقائع اللغوية بمعطيات المجتمع نقصي إلى نجلية الظاهرة اللغوية، وربطها بسياقها.

¹ مرسوم علم لغة الاجتماعي، ص 7

تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين:

شغل علماء اللغة بالتنوعات اللغوية وأثر العوامل الاجتماعية والثقافية فيها، مثل: التدرج السني، والانتماء العرقي (race)، والاختلافات بين الجنسين، والمكانة الاجتماعية، والسياق الاجتماعي للكلام والمركز الاقتصادي والسياسي، وغيرها من العوامل التي تسهم في التفكير اللغوي.

ولعل ما يستجلي الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي هو دراسة السلوك اللغوي للجنسين، ولربط التنوعات اللغوية بالعامل الاجتماعي والثقافي.

فالاختلافات في الكلام بين الرجل والمرأة لا يمكن دراستها بنجاح بمعزل عن بعضها، وبالتالي فإنّ المواقع الاجتماعية المختلفة وغير المتساوية في القوة يجب بحثها ودرستها من منظور اجتماعي.

ويتعين إشراك الجانب النظري من العلوم الاجتماعية في مناقشة السلوك اللغوي للجنسين؛ لأنّ كثيراً من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية، فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.

لقد جذر المجتمع فروقاً بين الجنسين كتقسيم العمل، وسيادة الرجال على النساء، وحصر النساء بأعمال بيئية للطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي.

"يذهب دارسو الجنسانية إلى أنّ الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية، والمرأة بسماتها السلبية مما ينجّم عنه الهرمية الضمنية بين الذكر والأنثى، إنّما هو فرق أيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أنّ الصعظ الاجتماعي والثقافي يؤسّس "بنية جنسانية"، ويجيز الدور الذي يشغله كل من الطرفين، وبهذا فإنّ الثقافة وليست الطبيعة

البيولوجية هي التي تضع قيوداً ومحددات على طرق التفكير والإبداع والسلوك¹.

ويدعم علم النفس التجريبي هذه النظرة بإشارته إلى:
"أن أكثر خصائص المرأة، نحو: أقل عدوانية، أقل اهتماماً بالأشياء
التقنية، أكثر ملبية، أقل استقلالاً، أقل إبداعاً، أقل طموحاً، . . . سببها
اجتماعي"².

والمرء لا يأتي إلى العالم امرأة، كما تقول (سيمور دي بوفوار) - بل
يجعلون منه هكذا . فالمرأة تبدأ بالقول أنا امرأة حين تحاول تعريف نفسها،
وليس هناك رجل يفعل ذلك، هذه الحقيقة تكشف الالتباس بين مدكر ومؤنث،
والرجل هو الذي يحدد الفرق الإنساني وليس المرأة³.

كان الاعتقاد السائد في القرون الحوالي، أن منشأ هذا الاختلاف بين
الجنسين هو اختلاف (فسيولوجي) و (بيولوجي)، حتى تحولت هذه اليقينيات
في وعي الأفراد إلى متشجب يعلقون أخطاء المرأة عليه، فهي جنس ضعيف،
طبيعتها تمنى عليها الرضا بالهامش، ولأخذ دور التابع.

فالنظرية البيولوجية أمست الطبيعة لثانية للمرأة، والمُصَوِّغ لغيابها عن
مواقع الفعل والتأثير، لذا اقتصرت للمرأة - وفق ثقافة المجتمع - بأدوار نسوية
الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي، فالنساء مُعرِّقات بالطبيعة أو مرتبطات به
بشكل رمزي، إذا ما قورن بالرجال المعرِّقين بالثقافة؛ التي تؤكد ذاتها تبعاً
لنموذجها على الطبيعة.

¹ ميجال تروبي، وسعد الفرعي، طيل القند الأخير، ص 85.

² أورور لانسري، أصل الفروق بين الجنسين، ص 14، يعني بنفسه ص 14.

³ إيمان سلفي، النظرية الأدبية المعاصرة، ص 195، ص 195.

لأن الهوية الجنسية تُقرص على الجنسين منذ النشأة الأولى، فدفع الأطفال بصورة منتظمة إلى دور جنسوي يتناغم وجسمهم .
وترى عالمة النفس (أورولا شوي) أن فرص الهوية الجنسية تبدأ في رحم الأم، فإذا تمتع الجنين بحيوية رائدة قيل "سيكون صبياً". وكذا الأمر في الرضاعة، فالأمهات يُرضعن البنات بشكل معابر لإرضاع الصبيان، وعلى البنات الصغيرات أن يتناولن الحليب أسرع من الصبيان، وفي المتوسط تُنظم البنات لكر من الصبيان بثلاثة أشهر. هنا تُقبل الأم بصورة لا شعورية بسُلطة الرجل الصغير واستقلاليته، فتترك له الإيقاع الطبيعي لرضاعته، فيم تقطع على البنت إيقاع رضاعتها، ولا تُبدي استعداداً لمسايرتها، بل تُخصيها لإرادة غريبة¹.

نهضت كثير من الدراسات ليبحث الفروق بين الجنسين، والوقوف على الحقيقة التي مرزها المجتمع، بشأن تفوق الذكر، وتراجع الأنثى، وهل مبعث ذلك ما وهبته الطبيعة للذكر من قدرات بيولوجية وعقلية، ونرعنها من الأنثى؟.

لكن هذه الدراسات انتهت إلى أنه لا يتوفر دليل علمي في البيولوجيا أو الفسيولوجيا ما يثبت أن للمرأة أقل من الرجل عقلاً، أو جسداً، أو نفساً.

* إن الأصل في التعبير عن Gender identity أي في تعريف الفرد أو البنت على نفسه جنسها ولأنها أو هي، إن هذا الأصل هو عند الأنثى التي يندرجها كل من فرد وبنات، بل من ولادة. ويطلق علماء النفس عليها اسم الأنثوية Proto femininity، وهذا من الشواهد ما حيث لنا تُعبر على هذه الأنثوية منذ ولادتها، ولكنها تنبع من بعد بل تأكيد الذكورة بعد تولد الأنثوية الأولى. ولو لم تكن هذه الأنثوية عطرة ما كان من الممكن أن يتحول الأولاد إلى أنثوية ويصبحون بنات. والمؤكد في الذكور سبب تحقق الأولاد للذكور بالأم من يندرج على الفرد أن يستقي عن أمه في من العزلة، وبعد ذلك الصداق في الاتصال بها.

ينظر: عبد الحميد الحنفي، التوسعة النفسية الجنسية، 60، وما بعدها.

¹ أصل الفروق بين الجنسين من 9

لن الوصف الأنثى للمرأة فرض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل، ومن أجل نقاء الأسرة الأبوية واستمرارها...¹.
فهذا التسلسل الهرمي لا يستند إلى أسس بيولوجي أو طبيعي، بل ينسل من خلال المنظومة الاجتماعية لإقامة الفروقات، وعدم المساواة.

تذهب روث بلير (Ruth Bleier) "أستاذة للطب" إلى أن التمييز الطبيعي أصبح جزءاً من (البيولوجيا) تسعى إلى جعل ما هو في الحقيقة اختلافات اجتماعية وسوسلية بيدو فولرق طبيعية وبيولوجية، وبذلك تسوّغ التمايز في الأدوار الاجتماعية وعلاقات الهيمنة بالخصوع، وأكثر من ذلك أن ما يمكن أن يفرص بوصفه طبيعياً يصبح ببساطة معياراً يسوّغ القواعد والأعراف التي تقتضي استهجان كل من يحدد عنها وعقائهم².

فالتذكير والتأنيث مفهوم ثقافي وتصور ذهني، وليس قيمة طبيعية جوهريّة. فلماذا يجري تفريغ الجسد المؤنث من اللغة، وعزله عن الفعل والتفاعل اللغوي؟ يجيب عبد الله العداسي عن هذا التسأل بقوله: "إن ذلك عائد إلى التصور الثقافي الذي يرى أن جسد المرأة حال من الفعل، وهذا تصور ثقافي عالمي، نقرأ لدى الدنمركيين هذا المثل (للنساء هاتين طويّلة وأفكار قصيرة)³."

فاللغة تعكس تنظيم المجتمع، ولكنها أيضاً وسيلة لبناء الواقع/الحقيقة، والسلوك اللعوي يعكس الفروقات في القوة، وفي الآن نفسه يُنهم في التوريث غير العادل.

¹ روث السطوي، الأنثى في الأسر، ص 18

² ميجال الروبي، وسعد البزعي، دليل النقاد الأنثي، ص 86-87.

³ عبد الله العداسي، ثقافة الوجه، ص 66.

إن تنوعات اللغة مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية والسلالة، والعمر، والجنس. واللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الناس الذين يتكلمونها، وإن هذه الثقافة يمكن تحليلها بحصر حزمة من المواقف الاجتماعية التي يُسمى كل منها (مقاماً)، فالألفاظ الخاصة التي تُعبر عن فئة من الناس أو مرحلة من مراحل العمر تشبه العلامة الفارقة التي تميز تلك لفئة أو المرحلة.

وتتجلى هذه التمايزات في المواقف الاجتماعية الحديثة، ولعل أظهرها أساليب التحية والنداء، ولحسب أن التمثيل على ذلك يحقق ما نهجس به.

- عبارات التحية: أعرض هنا إلى العبارات الشائعة في مجتمعنا لنبين

أثر السياق الثقافي والاجتماعي في الملوك اللغوي:

- مرحباً، مرحباً (بترقيق الراء وتسهيل الحاء).

- صباح الخير، صباح الخير (بإشراء الصاد سيناً، ومطل الياء).

- صباح الورد، صباح الفل.

- السلام عليكم.

- هائي.

- مساء الخير، مساء الخير، مساء الخير.

- على العافية، العوافي، يعطيك العافية (ينطيك العافية، ينطيكوا

العافية "للجمع". أو ينطيشوا للعافية ينطق الكاف كما تنطق (ch)

في الإنجليزية).

- فو الرجال، فوكم (تنطق القاف متأخرة إلى الحلق).

- عبارات النداء:

- ماما، بابا / أمي، أبي / ملي، بابي / ماما، بباء / مم، دادي /

يمه، يوبه / يمه، يابه.

لعلنا نستشعر من هذه العبارات الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله المتكلم أو للمخاطب على السواء، كما تومىء العبارات إلى المراحل العمرية، والمستوى الثقافي للمتكلم، والفروق الجنسية، والعلاقة التي تربط بين المتكلمين والمخاطبين، إلى غير ذلك من اختلافات اجتماعية، مما يؤكد أن اللغة سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول.

يشرع التركيب الاجتماعي والثقافي يبرز قوانينه منذ تحلق الجنسين، فثمة سلوك متعين للجنسين، ولا ينبغي الخروج عن هذه الصوابية، فالبنت في بعض الشرائح الاجتماعية تُلَقَّن اللغة بطريقة مغايرة للصبي، فلا يُسمح لها الحديث بصوت عالٍ، أو مقاطعة الكبار، أو إيذاء رليها في حوار أو مناقشة، أو أن تنطق بعض الألفاظ، أو أن تتداول بعض النكت.

... فالبنات الصغيرات لا يتحدثن هكذا، البنت لا ترفع صوتها، البنت المودبة لا تتدخل في شؤون الكبار، البنت تتسم ولا تضحك ...

أما الصبيان فيخطئون بما حرم على البنات، فلهن أن يصرخوا، وأن ينفجروا غضباً، وأن يعترضوا، وأن يقاطعوا في الحوار، وأن يلقوا النكات البذيئة، وأن يضحكوا بصوت مرتفع، وأن يصرخوا من الآخرين، فهم صبيان، ويحق لهم ما لا يحق لغيرهم.

ويُمنع المجتمع في تعزيز هذا السلوك حتى يحدوا قانوناً طبيعياً يستكن في العقول فلا يحيد عنه أحد الجنسين، ولو حاولت البنت أن تشب عن الطوق الاجتماعي لتعرضت للسخرية والتوبيخ، ولو قلد للصبي البنت في حديثها لاستهجنوا صنيعة، ورموه بالتخنث، والتكسر، والميوعة ...

تذكر روبين لاکوف (Robin Lakoff) : "أن الأطفال في اليابان من الجنسين يستخدمون أدوات للتعريف الخاصة بالمرأة إلى أن يبلغوا الخامسة من

أعمارهم، ثم يوجه الذكور إلى التوقف عن استخدام هذه الأساليب اللعوبة حتى لا يوبخوا ويُسخر منهم¹.

وثمة أعراب اجتماعية للجماعات والأمم تظهر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي "قالايبون (Abipon) في الأرجنتين يقومون بإضافة اللاحقة (in) (إن) في نهاية كل كلمة، إذا كان المتحدث أو المتلقي من المحترفين. وتنقسم لغة اليانا (Yana) في "كاليفورنيا" صيغة تستخدم في الكلام عن النساء أو فيما بينهما².

"وفي لغة الكوساتي (Kossati) المستخدمة في لويزيانا (Louisiana) هناك اختلاف في صيغ الأفعال التي تستخدمها الإناث، وتلك التي يستخدمها الذكور يقوم الذكر بإضافة (-S) في نهاية الصيغ المؤنثة؛ ومن الأمثلة على ذلك: أن الذكور يستخدمون صيغة lakaws، وتستخدم النساء صيغة lakaw، وتعني الصيغتان "يرفع"³.

"وفي ولجة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية يتحدث الرجال اللغة العربية بجانب استخدام اللغة السيوية، أما النساء فلا يتحدثن إلا باللغة السيوية، ولا يستطعن التعامل بالعربية.

وشبه بهذا في المناطق النوبية في مصر أو البربرية في المغرب العربي والمهرية في شرق اليمن. ولربط لغة بعينها بالرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية، فمجتمع للنساء في هذه البيئات منفصل

1 Extract from *Language and Women's Place*, by Robin Lakoff, from *The Feminist Critique of Language*, Cameron, D (ed) 1998, p, 242).

2 See *The Feminist Critique of Language*, Edited by, Deborah Cameron, p. 242.

³ ميسون علم لغة الاسماعي، ص 190

تماماً عن التعامل الخارجي، ولذا لم تتخله العربية: لغة للتعامل الخارجية، ولغة التعليم والثقافة¹.

إن إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو إنتاج مراقب، ومتقن، ومُعَدّ توريعة من حلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحد من سلطته ومخاطره.

وإذا قلنا فكرة (ميشيل فوكو) التي ترى: "أن ما هو صواب يعتمد على من يُهَيمن على الخطاب"²، فمن المعقول أن نسلّم بأن سيادة خطاب الرجل أوقع المرأة في فتح حقيقة المذكر، فحين سيطر الذكر على الخطاب قام بتشكيل الواقع وفق تصوراتهِ، فوَزَع الأتوار الاجتماعية، وعضد موقفه ببناء التسميات، واختيار المعاني، بعد ذلك فلم بالمصادفة عليها، ولم يكن للمرأة في هذا سوى الرضوخ، والرضا بنصيب "أم الحائش" في الشاهد النحوي المشهور.

في ظل هذا المشهد الذي آلت الأمور فيه إلى الرجل، تشكّل السلوك اللعوي للجنسين، فالمرأة أكثر ميلاً للمحافظة على العادات والأعراف، وأشدّ التزاماً بالمعيار، فهي لا تتسلق إلى التغيرات الحادثة باندفاع الرجل.

ولعل هذا السلوك الذي تتجه المرأة بحقوق لها -وفق نظرتها- احتراماً في التراتب الاجتماعي، ويحببها السخرية والانتقاد من محيطها، فقلما تلجأ المرأة إلى اللغة السوقية أو الابتذال في الألفاظ.

وقد لا يسحب ذلك على المرأة العربية في العصر الراهن، فهي تنحني -على الأغلب- لهجة محلية تعطي بالميرورة والمكانة الاجتماعية؛ لأن ذلك يصفي عليها مسحة أنثوية، إضافة إلى أن الدور الذي تشغله المرأة في المجتمع الاجتماعي لا يوفر لها سبيل اكتساب لغة للثقافة السائدة، إذ إن دور

¹ على عبد الواسع وفق علم اللغة، ص 24

² ميشال فوكو، خطاب الخطاب، ص 9

المرأة مُحْتَرَمٌ في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وفي أعمال لخدمته محدودة؛ مما يلجئ المرأة إلى الاكتفاء باللهجة المحكية في أدلتها اللغوية.

لما الرجال قلم فضائهم المتراحب، فمنهم السياسي، والاقتصادي، ورجل الدين، والتربوي، والعسكري، والإداري ... إلى غير ذلك من أدوار تُسهم في إكسابهم اللغة للقياسية إلى حد كبير.

فالتنوع اللغوي يلحم بالعامل الاجتماعي وجوداً وهدماً.

ومما يورث إلى العامل الاجتماعي وأثره في تشكيل السلوك اللغوي للجسسين، "أن النساء في اليابان ينفن لللاحقة ne إلى نهاية كل جملة دلالة على أنهن نساء، مما يدل على المكانة الاجتماعية التي تشغلها المرأة في المجتمع الياباني. الذي - غالباً - يصور المرأة أنها تابعة للرجل، وأن مكانها دائماً في البيت، لذا يستخدم للرجال كلمة Kanai للإشارة إلى زوجاتهم، وتدل هذه الكلمة على الشخص الذي يبقى رهن البيت، إذ إن المقطع "Ka" يعني البيت، المنزل، العائلة، و "nai" يعني الشخص في إطار المجتمع الياباني.

وتعبر كلمة Kanai عن علاقة الأعلى بالأدنى، أي الرجل بالمرأة، ولعل الأسوأ من ذلك، أن الرجال الطاعنين في السن يستخدمون كلمة "Gusai" وتعني الزوج الغبية للدلالة على زوجاتهم، والاستهجان هنا أنه لا توجد كلمة بمعنى الزوج الغبي، بل إن هناك تعبيراً "يا سيد" لمعاطبة الرجل من قبل المرأة¹.

وأوضح جيرتر Geertz أن النساء في جزيرة (جاوا) في أندونيسيا يمارسن المهن المختلفة، ويملكن المزارع ويُشرفن على الحصاد، أما الرجال فيقومون بأعمال البيت كالنظيف، والتعبير المنزل وإعداد الطعام.

¹ يرفعهم اللغاة الصوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، دة أنكل، ع149، ص20

وفي هذه الحزيرة تحظى لغة النساء بالسيرورة والتمثل من قبل الأطفال والبالعين¹.

ووصف سيجل (Sergel) العائلة الأتجية في أندونيسيا: "بأن النساء فيها يقطن في المنزل الحاصل بالأباء والأجداد بعد الزواج، ويمتكن قياد الإدارة في البيت.

ويقتصر دور الرجل في هذه العائلة على جلب المال، وتنتظر ساء هذه العائلة إلى دور الرجل بأنه محصور بين الطفل والصيف².

لعل هذه التجليات لمكانة المرأة تستدعي مرحلة مرت بها المجتمعات وهي مرحلة السيادة المتريركية (الأمومية)؛ إذ كانت المرأة تنافس الطبيعة في خصوبتها، وهي السيدة الأولى في المجتمع، بيدها معقلد الأمور، وباسمها كانت تهجس الثقافة، وهي موضوع التأمل، ومنبع الحركة والحياة. لذا فإن أول دينة للرجل كانت المرأة، منها بدأ تعده، وإليها شرعت الصلوات الأولى، وهي الرحم للعالي، ومنشئة الكون، ومصدر كل شيء، من ذاتها تخلق الإنسان، وفي بطنها نشأ³.

كتب ميشيل شتيفان (Michael Eshteven) عن المجتمع الأمومي: "كانت النساء منتجات في المجتمعات المتريركية، وكن يتحكمن بوسائل الإنتاج، ولسيطرتهم على السلطة الاقتصادية والاجتماعية لمتكن السلطة السياسية⁴.

¹ Woman, Culture and Society, by Michell Zim and Lamphar, p. 25.

² See: Woman, Culture and Society, P. 26.

³ وهي المعقن الجنسي والجنسي، تد عبد القادي عيسى، من 20-21.

⁴ عن لورولا شوي. أصل لقروى، من المصوب من 30-31.

وفي ظني أن هذه التحققات الاعتبارية للأنثى قد تقصي إلى تعبير في الخطاب السائد، والسلوك اللغوي للأفراد، فالأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب، وتنوع الاستعمال بما يوافق الدور المنوط بها، فإنه سيحتي معجمها الذهني ويتنوع، وهذا يؤكد ارتباط قوة للخطاب بروافد للحضور.

لن اللغة تتأثر بمحيطها، وارتباطها بالمجتمع ارتباط الجراء بالكل، ولعل هذه الإحصاءات متعمدة في سلوك الأفراد في المجتمع.

هذه الرؤى الاجتماعية مكنت نسقها في بخصور اللغة حتى صيرتها بيد الأكوي، فشكل الرموز، واجترح المفردات، وترتج على عرش الخطاب. يتباين السلوك اللغوي للجنسين تبعاً للأثر الاجتماعي المتوارس على الجنسين، فالمجتمعات التي تضرب حُجُبها على الأنثى، يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر فيصبح للأنثى ألفاظها، وموصوغاتها، واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر.

لما المجتمعات التي تتبع للجنسين التفاعل والاختلاط فإن السلوك اللغوي يتضام في شكل الخطاب، واختيار المفردات، بل قد يتقارب في الأداء اللغوي. لاحظت الباحثة جينيفر كوتس (Jennifer Coates) أن مجموعات معينة من النساء مثل المتخصصات، والمشتغلات بالمهنة قد اخترن لأنفسهن أساليب لغوية جديدة وفرت لهن التقارب من اللغة السائدة/ لغة الرجل. بأساليب متنوعة، منها:

- تجنب الأصول للعائنة ذلت للتردد العالي.
- استخدام الألفاظ المبتذلة، والمفردات العنوقية والمحرمة Taboo.
- احتيار الملامح فوق التركيبية الأكثر قرباً من ملامح الرجال، كاستخدام الأنماط التقييمية الهابطة بدلاً من الصاعدة.

- تفصيل الأسلوب الأكثر جرماً في التفاهم داخل المجموعة.
- التفاعل في موضوعات - كانت وفقاً على الرجال - مثل السياسة، والاقتصاد، والاحتماع.
- الميل إلى استخدام اللغة المؤقفة، وتجنب اللغة المحيطة¹.

نمل ما نفع هؤلاء النساء لنهج هذا السلوك هو سيطرة لغة الرجل، وتسيده إنتاج الخطاب، والمرأة بتماهيها مع لغة الرجل تقترب من القوة، ومناقضته في مصارب الحياة.

لذا لجأت بعض الكاتبات إلى افتعال أسماء ذكورية للكتابة في المجلات والصحف، لأن المجتمع لم يتقبل بعد حوض المرأة ميدان الكتابة، لارتباط لغتها وفق المخيال الاجتماعي - بالمداخلة، والسطحية ومن هؤلاء * Marian Evans التي لجأت إلى اسم (George Eliot) والأخوات برونتي Brontes اللواتي استخدمن أسماء رجال هي: (Curren Bell, Ellis Bell, Acton Bell) ولجأت Mary Murfee إلى (Charles Egbert Craddock) في كتابتها².

إنها تلج اللغة غزاً فنتطرة للرؤولة، فهي بوليتها للشرعية لتمنحها القبول والسيرورة، والمرأة مسكوبة يوماً بهاجس إرضاء السائد، وتجنب الانتقاد. ولا نستهن ما قالته (مي زيادة):

"نحن في حاجة إلى أسماء تتجلى فيهن عبقرية الرجال"³.

¹ أحمد مختار: اللغة ومختلف الجنس، ص 37، خلاص:

Women, Men and Language, by Jennifer Coates, P 10.

² Toward a feminist poetics, by Elaine Showalter, P 138.

³ مي زيادة: الأعمال الكاملة، 1/170

ولعل القماهي مع لغة الآخر دعا الرواقية (أحلام مستعاني) للسرد بلسان الرجل؛ لأنّ ذلك يوفر لها حرية البوح، ويشرع لها أفقاً لا تتحقق لو كان السرد بلسان أنثى، إنها تكتب لاستعادة صوتها، وممارسة حقها في اللغة "نحن نكتب لمستعيد ما أضطناه، وما سرق منا خطّة"¹.

لنّ ما تلجأ إليه للمرأة للمصافحة من لغة الرجل هو حيلة نصيب المجتمع للمرأة لإبقاء الذكورة قيمة معيارية تظل للمرأة تروبو إليها لمحاكاتها.

لقد قيم جوك هيوزمان (Joke Huisman) النقاش الحاص بالمساواة والاختلاف بين الجنسين، فنكر:

"ما لم تُستخدم كلمة "مرأة" في سياق سياسي أو نظري حتى تواجه لا شعورياً ما تواجه الحركة النسوية، فوضّح النساء يختلف عن وضع الرجال، وتعدّ مكانة المرأة منحرفة عن السياق العام بفصل سيادة الذكورة على الثقافة، واللغة والقيم.

ومن المُحال أن نجد لساً واضحة للفروق بين الرجل والمرأة من وجهة نظر واحدة، فثمة آراء ترى الجنسين متساويين، وآراء أخرى تقدمهما متباينين. وكل يستند إلى ما يُغضد زعمه.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة للفروق. وكيف تنشأ، ننتهي إلى أن مفهوم كلمة "الرجل" يُمثل العام/ الشامل/ العالمي/ الإنمائي.

أما كلمة "المرأة" فهي رديف الانحراف/ الثانوي/ الهامشي؛ لذا تُنعت المرأة بالآخر، وهذا يقضي إلى إجبار المرأة على تحديد مكانها في عالم الرجل، أو أن تحوض مجالاً آخر في عالم (اللاتساء)، وبالتالي تنأى عن التيار

¹ أحلام مستغنى، فكرة الجسد، ص 105

الرئيس. وباحتياز سبيل الفريدة تكفيء للمرأة على ذاتها في ظل حصاره تهيم عليها قيم الذكورة^١.

ونخلص من عرض هذه الأنظار أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتسلى فوق وعي الفرد، فهي سابقة في وجودها وجود الفرد؛ لأن قواعدها ونظمها تألف والقيم التي ارتضاها عقل الجماعة، ومن ثم فهي تنظم عقول الأفراد، وتصوغ لغات الاتصال اللغوية الأساسية التي يتفاعل الأفراد من خلالها.

فاللغة بذلك سلوك توجهه المعايير والمعاني والقيم في مواقف التفاعل التي تحددها المناسبات الاجتماعية المتعددة. فاستخدام الفرد للسلوك اللغوي تحكمه شروط النظام الاجتماعي، وتسهم هذه الشروط في اختيار الصياغة اللغوية المنسوقة والسياق الثقافي والاجتماعي للموقف الكلامي.

ولعل علاقة التلاحم التي تربط اللغة بالحراك الاجتماعي، أفضت إلى نهوض اللسانيات الاجتماعية برصد اللغة في سياقها الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات النطاطية للغة والثقافة، إذ إن هذه النشاطات تصطبغ بالخبرات الاجتماعية والثقافية للفرد، فالسلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، ويتجلى في مباحث الحياة المختلفة، كالمناسبات الاجتماعية. فعبارات التحايا والمجاملة والوداع، وأضرابها من الكلام تمثل لعادات اجتماعية، ووسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي. ويمكننا من خلال هذا السلوك أن نشأ بلهجة الطبقة الاجتماعية Social class dialect. فالجماعات الاجتماعية تستخدم لهجات لغوية متباينة تتأثر بالتميز الاجتماعي للعائمين هذه الفئات.

^١ See Women's Language, Socialization and Self image, Edited by De'de Brouwer and Doran de haan, PP 131-132

فلا مندوحة عن الالتفات إلى الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي،
فالعوامل الاجتماعية بمرحلة الخلفية التي يجب الرجوع إليها لتحديد السياقات
للمعنى والكلمات، فتحن مخلوقات اجتماعية يُستهم المجتمع في تشكيل دوائها
ومصوغها وفق المنظومة السائدة، وبالتالي يتخلق سلوكها تبعاً للمعيار المصايط.
ويحال أن رصد السلوك اللغوي للجنسين ينطوي على الصلة الوثقى
بين العوامل الاجتماعية والسلوك اللغوي، فحقيقة الفروق القائمة بين الرجل
والمرأة ليس مردّها للعامل البيولوجي أو الطبيعي، بل مرجعها العامل
الاجتماعي والثقافي.

ولعل ما يكتنف هذه القضية من إلماعات ومغامرة، قوى في النفس
دراسة السلوك اللغوي للجنسين وفق اللسانيات الاجتماعية، لأن دراسة اللغة
في السياق الاجتماعي يُستقر عن فصوص قد لا تنأى للمناهج اللغوية الأخرى.

الباب الثاني

نظرة اللغة إلى الجنس

- الفصل الأول: تصنيف الجنس في اللغة

- الفصل الثاني: الثقافة، اللغة، التحيز

تصنيف الجنس في اللغة:

مَدَّ وطَى الإنسان هذه البسيطة وهو يعارك المجهول، لاستجلاء ما
التبس عليه من أسرار وكُمُون. ولقد وفق في مقصده في لحاين كثيرة، إلا أن
ثمة طواهر اعتاصت عليه؛ إما يكتنفها من غموض وتركيب.

ولعل من أظهر هذه المسائل، مسألة الجنس.

فعلى الرغم مما خطه السابقون، وماثوا به أسفارهم، إلا أنهم لم يأتوا
بالقول الفصيل في هذه المسألة، فأكثر ما ارتبطت هذه الظاهرة بالحكاية
والسماع، وهذا ما انتهى إليه "ابن وهب" حين قال:

"ليس يُوصَل إلى علم المدكر والمؤنث من هذا الباب إلا بالسمع دون
القياس"¹ لأنها لا تنظم في قواعد صارمة لا تتخلف، ذكر "ابن التستري":
"ليس يجزي أمر المدكر والمؤنث على قياس مُطَرَّد، ولا لهما باب
بحصرهما"².

ولم يقتصر الجار بالشكوى على السابقين، بل انتقلت الخبرة إلى
المحدثين، على الرغم مما بذلوا من وكَد في البحث والنظر. ذكر المستشرق
(برجشتراسر):

"التأنيث والتذكير من أعمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مُشْكَلَة، ولم
يُوفَّق المستشرقون إلى حلها حلاً حازماً مع صرف الجهد الشديد في ذلك"³.

ولعل اقتراح مسألة التذكير والمؤنث بالمفوض، كامن في أسباب
عديدة، منها: ارتباط التأنيث والتذكير بالتاريخ اللغوي، ونشأة اللغة والتطور
الذي طرأ على مسيرتها أمر بجهله، فلم تترك الأمم من الأمارات الكافية ما

¹ ابن وهب، رقم 329 في وصوه حياته، من 329.

² ابن التستري، الذكر والمؤنث، من 47.

³ برجشتراسر، تطور النحوي لغة عربية، من 112.

يدرس على لمتها، وتقرض كثير من اللغة الأولى، وتُرْسِنَت آثارها، وعُوت
رسومها.

وأحسب أن غلب الأتلة المانية والبراهين المحسومة من شأنه الحنول
دون الوصول إلى تفسيرات فاطعة لهذه المسألة وغيرها من الفصائل الحوية،
كالعدد، والزمن، والجنس . .

وهناك سبب آخر أسهم في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، هو تصنيف
الجنس في اللغة، فقد تم توزيع المحسومات والمجردات على قسمين وحسب،
هما: "المذكر والمؤنث"، فدخل القسم الواحد ما لا يتعلق مع غيره بقرينة،
فالمذكر والمؤنث ارتبطا بالجنس الطبيعي وهو قرينة مادية حسية، وانتقاء هذه
القرينة -بالضرورة- أسفر عن غموض في التصنيف، وفوضى في التوزيع.

وانعكس هذا الغموض على تفسيرات الباحثين وتأويلاتهم؛ فتعلقت
أراؤهم بالخيال والأسطورة، مما راد الطاهرة عماء واعتباطاً.

وإخال أن استدعاء تصنيف الجنس في اللغات الأخرى بفضد ما
نهجس به، فالساميون صنعوا الجنس وفق قسمين: المذكر والمؤنث، مما يتفق
وثنائية الوجود، إلا أن التفسيرات تبليت في العلة التي دفعت الساميين إلى هذا
التصنيف.

يتقرص وليم رايت (W Wright): "أن الخيال الحصب للساميين كان
يرى أن جميع الأتباء حتى تلك التي يبدو واضحاً أن لا حياة فيها (ليست
شبيطة) تتمتع بالحياة، لذلك لم يبرز عندهم سوى جنسين وحسب، وكذا في
الطبيعة جنسان"¹.

¹ Lectures on the Comparative Grammar, by W Wright. P 131

ويعلب على ظني أن السامعين وضعوا في البدء اسماً واحداً لكلا الجنسين، فالإبل للمذكر والمؤنث، والعاقرة للمذكر والمؤنث، والطفل للمذكر والمؤنث؛ ولكن بعد أن ارتقت حياتهم وتوسعت أفاقهم صاروا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة لا بواسطة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وأخرى للمؤنث.

ولهذا الاعتراض ما يناصره من تجارب الإنسان ومنطق الأشياء، إذ إن التطور يبدأ من التبسيط إلى المركب؛ لأن التمييز والتصنيف مراحل متطورة في التفكير المجرد، الذي يعمد شكلاً من المعرفة أكثر تعقيداً، ويعكس العالم وعملياته على نحو أكثر عمقاً وكمالاً بالمقارنة مع المعرفة الحسية. فالانتقال من المعرفة الحسية إلى الفكر المجرد يمثل قفزة نوعية في تطور اللغة، لأنه تطور من معرفة الوقائع إلى معرفة تفاصيل أكثر عمقاً.

ثم يكن اختراع مفردة للمؤنث وأخرى للمذكر أمراً يسيراً في ظل عناء الإنسان اليومي وهو يواجه صراع بينته بحيواناتها الضارية وبرودتها القارسة، لأن انتحاء هذه الوجهة - بالضرورة - مبني على معجم، ويعني النفس لابتداع ألفاظ ملائمة للحدث من المسميات. وقد تنبه بهاء الدين بن النحاس في (التعليق على المقرئ) إلى هذا الأمر، فقال:

"كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ مؤنث غير لفظ المذكر، كما قالوا: غير، وأتان، وجذني، وعناق، وحمل، ورخل، وحسان، وحجر، إلى غير ذلك.

لكنهم حسوا أن تكثر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاحتصروا ذلك بأن أثروا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث تارة في الصفة، كصارب وصاربة، وتارة في الاسم، كمرئ ومرأة، ومرء ومرأة في الحقيقي، ولد

وبلدة. ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصاً على البيان، فقالوا: كَبَشٌ ونَعْجَةٌ وجَمَلٌ وناقةٌ، وبلدٌ ومدينة¹.
وأثنى جرير (Gruber) على هذا للتصنيف فرأى أن: "الأفضل للغة أن تنصص طرقاً اشتقاقية للحصول على كلمات جديدة بدلاً من اللجوء إلى كلمات جديدة تماماً. إذ إنَّ للكلمة الجديدة أكثر كلفة للغة، وتتطلب مزيداً من الروابط بين أجزاء الكلام وتقسيماته العرعية، وتصنيفاته ذات الصلة بهذه الكلمة²."

للتصنصت اللغات السامية في تصنيفها للجنس على قسمين، ولم تُشَقَّ قسماً ثالثاً للمعابد، بل تورعت مادة المعابد (المجازي) على المذكر والمؤنث. فهل احتدت اللغات الأخرى نهج السامية في التصنيف، أم ألحقت شريعة أخرى؟ لعل في الإلماعات اللاحقة إجابة عن التسأل.

الجنس في اللغات الهند أوروبية:

يذكر بروغمان (Brugmann) أن في اللغات الهند أوروبية طريقتين للتعبير عن الفروقات في الجنس الطبيعي، إما بوجود جذور مختلفة (التي تقع عليها الحركات نفسها: فتحة، ضمة، كسرة). ولكن الحركات تختلف ومثالها كلمة deus التي تعني إله، dea التي تعني إلهة (مؤنث إله).
لما فيما يتعلق بالجنس القواعدي فإنه لا توجد إلا طريقة واحدة للتفريق بين المذكر والمؤنث، ألا وهي: استخدام حركات مختلفة في نهايات الكلمات، مثل anima : animus في اللغة اللاتينية³.

¹ السوي: الأبيد وحظرت، 37/1

² Function of Iconon, by Gruber.P 113

³ Grammatical Gender, by M.IIbrahim, p. 33

يرى بلومفيلد (Bloomfield) ¹ أن تصنيفات الجنس في معظم اللغات الهند أوروبية لا تتفق في شيء في العالم العملي ¹.
ويضيف: "يبدو أنه لا توجد قاعدة أو مقياس عملي يمكن بواسطته تحديد الجنس في الألمانية، أو الفرنسية، أو اللاتينية" ².
لم تستقر اللغات الهند أوروبية على حال في تعليلها مع الجنس. بل طرأ عليها تغيرات عديدة خلال العصور، ففي تاريخ اللغات الرومانية والجرمانية، والكنيتية، وفي الفرنسية كثيراً ما جرت نهاية التذكير أو التأنيث معها الجنس المقابل لها، يقع ذلك إلى درجة أن عدداً كبيراً من الكلمات المنتهية بنهاية مؤنثة، التي تعدّها اللغة للصيغة مذكّرة حتى يومنا هذا استعملت أو مازالت تستعمل في اللغة الدارجة على أنها مؤنثة، ولا سيما إذا كانت مبدوءة بحركة تمنع إصحابها بالأداة المؤنثة مثل الكلمات "exercice" "تمرين" و "Orage" عاصفة، و "ouvrage" عمل.
بل إن الكلمتين prophete "نبي" و "pape" "بابا" استعملتا مؤنثتين في العصور الوسطى بسبب النهاية المؤنثة في آخرهما. وهذا يُريداً مقدار اختلاف الجنس الطبيعي عن الجنس النحوي ³.
إن كانت اللغات الهند أوروبية قد فسّمت الجنس إلى مذكر ومؤنث ومحايد، فإنّ هذا النظام بدأ يحنفي من بعض اللغات، مثل: الفارسية، وبعد الجنس مغزاه باعتباره تصنيفاً قواعدياً، ولم يبق من النظام القديم آثار سوى تلك الموجودة في الصمائر كما هو الحال في الإنجليزية.

Language, by Bloomfield, P 271.

Ibid P 280

¹ مدرّس اللغة - ص 127.

ونخضع هذا التصنيف من نظام ثلاثي إلى ثنائي كما هو في اللغات الرومانية. فيما حفظت على النظام الثلاثي بعض اللغات، مثل: الألمانية، والسلافية.² إن تصنيف التذكير والتأنيث يختلف من لغة إلى أخرى لاعتبارات ثانوية في نظام اللغة نفسها، فبعض التقسيمات مرده الصغر والكبر، أو القوة والضعف، أو الحشوية واللين.

تقي لغة بورما أربع عشرة جهة تقسيمية، فالأشياء تنقسم باعتبار التسطح والرمطة، والطول، وكونها للنقل، والحيوانات، والمجموعات، والمركبات، والكهنة والسوقة، وفيها اعتبار تقسمي خاص لأمرء القصص وأميرائه.³

ويُصنّف الجنس في لغة Abxaz (وهي إحدى اللغات القوقازية) وفق ثلاث فئات، هي:

- كائنات حية مذكرة.
- كائنات حية مؤنثة.
- أشياء غير حية.

وتشمل هذه الفئات الثلاث ربادات توافقية محبة، وتتضمن هذه الزيادات: الأمامية، والحلقية والداخلية، ولكن في بعض السياقات، مثل التوافق بين الفعل والاسم يتم تقليص هذه للفئات الثلاث إلى فئتين، هما: الفئة المذكرة، والفئة المؤنثة⁴.

وتتميز لغة الألجونكين (Algonquian) بين جنس حي، وجنس غير حي، ولا يهتما بعد ذلك ما يدخل تحت كل واحد من الحنسين من أشياء، فقد

² أمثلة: لغة روسي إلى فرع شمالي اختير من المجموعة السلافية حسب اللغة الحديثة الأوروبية، وهي من الح.

المجموعة في يوغوسلافيا، بطر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة نظري، ص 260-261.

³ قام مساهم: ملحق البحث في اللغة، ص 250.

Grammaire Comparée des kabyles Caucasiens, by Dumézil, pp. 2-3.

نصع الأحيويين بين الأشياء المدلول عليها بالجنس الحي إلى جانب الحيوان، الأشجار، الأحجار، الشمس، والقمر، والنجوم، والبرق، والثلج، والقمر، والحيز، واللواحة ...

ونطلق اللغات في الميدان الإفرقي على الجنس اسم "الطبقة"، فاللغات البسيطة يسيطر عليها وجود "الطبقات" التي تمتاز كل منها بلامعة خاصة، وعليها توزع جميع الكلمات الموجودة في اللغة.

ويعلل (فندريس) ذلك بأنه محاولة قام بها العقل لتصنيف المعاني المتنوعة التي يُعبر عنها بوساطة الأسماء، وأغلب الظن أن هذا التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن السابقين عن العالم، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية¹.

فالتذكير والتأنيث تطرير اجتماعي، تُدخل تصنيفاته سياقات متباينة المسارب تمتح من تفكير الجماعة للعبوة وتصوراتها عن الكون والأشياء.

تصنيف الجنس في العربية:

تميز العربية بين الجنس تصنيفاً واصطلاحاً، فالتذكير: "خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى، والجمع ذكور ونكورة، وذكر، ويوم منكر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القل.

وقول ذكر: صلب متين، وشعر خمر: فعل ورجل ذكر، إذا كان قوياً شجاعاً لئلاً أياً، ومطر ذكر: شديد وابل ...²

والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، وللجمع إناث، وأنت: جمع إناث يقال للرجل: أنتت ثلثاً أي أنت له، ولم تتحد.

¹ ينظر فندريس: اللغة، ص 130-132

² من منظور لساني العرب، كلمة "ذكر"

والتأنيث، خلاف التذكير.

وبلد أنثى: لئن سهل، حكاة ابن الأعرابي، وأرض ميثاث وأنثى سهلة ميثثة. حليقة بالنسب، ليست بغليظة.

ورغم "بن الأعرابي" لئن للمرأة إنما سميت أنثى من اللبذ الأنثى، قال: لأن المرأة لئن من الرجل، وسميت أنثى للينها¹.

فالتذكير تبعاً لذلك معادل للقوة والشدة، والشجاعة، والأتفة والصلابة، أما التأنيث فيلتصق باللين والسهولة، والإنتاج والخصب والإنبات. ويتسق هذا التصور وأنظار النحويين الذين قرروا أن التذكير أصل، والتأنيث ثار، وهذا ما هجس به سيبويه: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً...².

لعل هذا الفهم النحوي يترسم قصة الحلق الأولى / خلق آدم، واشتقاق حواء الأنثى من ضلعه، فهما من نص واحدة وفقاً لما جاء في القرآن: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، ومث منها رجالاً كثيراً ونساءً)³.

فكما أن الذكر أول، وهو أصل الحقيقة والأنثى ثار مجترح من الذكر، كذلك المدكر في اللغة صفة للجنس، والمؤنث فرع، وهو محمول على المدكر. لذا ظل المدكر يعبر علامة للتذكير، فليس للتذكير علامة لأنه الأصل، وهو الأول، وإنما ألحقوا للمؤنث علامة في الأغلب، لأنه فرع التذكير⁴.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة "أنث".

² سيبويه الكتاب 3/241.

³ سورة النساء 1.

⁴ يطر. علوم النضاب 35/3، فريسي في النحوي 291 فريسيه فريسيه 223.

أضرب المذكر والمؤنث

يتوزع الجنس في العربية على صنفين رئيسين، هما:

1. الحقيقي 2. المجازي.

"لما الحقيقي فما كان في للرجل والمرأة، وجميع الحيوان، لأنك لو سميت رجلاً "طلحة" لخبرت عنه كما يخبّر إذا كان اسمه مذكراً، ولو سميت امرأة أو غيرها من إناث الحيوان باسم مذكر لخبرت عنها كما كنت تخبّر عنها واسمها مؤنث".¹

وهذا الصنف يُعرف قِاماً وسماعاً وطبائعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن.

وقد خذد المذكر الحقيقي بأنه "ما كان من الحيوان مثل الذكور".²

أما المؤنث الحقيقي فهو "ما بإزائه ذكر في الحيوان".³

لعل معيار العلماء في هذا التصنيف كان منصباً واصحاً؛ لأن ذلك مرتبط بالتجانب المادي، يقول ابن يعيش: "المؤنث الحقيقي والمذكر الحقيقي معلومان؛ لأنهما محسوسان وذلك ما كان للمذكر فيه فرج خلاف فرج الأنثى، كالرجل والمرأة".⁴

وفصل "ابن السراج" بأن للمؤنث الحقيقي يأتي على ضربين:

- بعلامة

- وغير علامة.⁵

والعاري من العلامة يُعرف تأنيثه:

1- المقادير: 148.

2- القميري: الفكرة وذكره، 613/2.

3- القميري: القمل، 237.

4- ابن يعيش: شرح القمل، 62/5.

5- ابن السراج: الامور في النحو، 407/2.

بالإشارة إلى معناه في القرب بـ "ذي"، وفي البعد بـ "تلك"، ويساوي الاستدلال بالإشارة الاستدلال بالصغير، وبالوصف، وبالخير، وبالحال، وبسقوط الناء في العدد من الثلاثة إلى العشرة. وبظهور الناء في التصغير إلى كل المصغر ثلاثياً¹.

أما المصنف للثاني: فهو المجازي (المنكر والمؤنث خبر الحقيقيين). وهو خلاف ما ذكر أنفاً، إذ لا مميز ولا صابط ينتظمه، لأنه لا يدل على ذات حقيقية أو محسوسة، وألحق بالمنكر والمؤنث على سبيل "المجاز"، فهو موقوف على الوضع والاصطلاح.

وهذا المصنف أشكل على اللغويين والنحويين، فأفردوا له المصنفات والرسائل؛ رغبة في ضبطه وتقييده، حتى ليخال للخاطر الأول أن مسألة التذكير والتأنيث قد خصّصت للمجازي، فإذا مرّ اللغويون والنحويون بالمدكر والمؤنث الحقيقيين، مزوا سراً، ولم يطيلوا المكث في مداورة هذا الصرب، وكأن الجنس الحقيقي معلوم من اللغة بالضرورة، وإذا همّوا بمعالجة المجازي أفاضوا فيه مقارنة وتعليلاً وتصنيفاً.

ولا تثريب في ذلك، فمعرفة التذكير والتأنيث عُدّة الفصيح، بل تتقدم على معرفة الإعراب في العربية، وهذا ما قرره أبو حاتم المجسّتي: "أول الفصاحة معرفة للتأنيث والتذكير في الأسماء والأفعال والبعث قياساً وحكاية، ومعرفة للتأنيث والتذكير ألزم من معرفة الإعراب"². ويضام إلى الصنفين الرئيسين للجنس في العربية: المدكر والمؤنث الحكمي، والمنكر والمؤنث التلويحي³.

¹ في مقلته شرح غناء المصنف وعنه فلاحظ، ص 826-827.

² أبو حاتم المجسّتي: للذكر والمؤنث، 35-36.

- يعرف المؤنث للحكمي بأنه ما كانت صيغته مذكّرة، ولكنها أصبحت إلى مؤنث فاكتمست للتأنيث بسبب الإضافة، كقوله تعالى: (وجاءت كل من معها سائر وشهد)¹، فكلمة "كل" مذكّرة في أصلها، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المصناف إليه المؤنث "نفس"².
- المذكر الحكمي: وهو ما كانت صيغته مؤنثة في أصلها، ولكنها أصبحت إلى مذكر فاكتمست للتذكير من إضافته إلى اسم مذكر، كقول الشاعر:
إبارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي للهوى يرداد تنوير³
فكلمة "إبارة" مؤنثة، ولكنها اكتسبت التذكير بإضافتها إلى العقل، فجاءت "مكسوف" مذكّرة لذلك.
- المؤنث التأويلي: ما كانت صيغته مذكّرة في أصلها اللغوي، ولكن يراد لسبب بلاغي تلويها بكلمة مؤنثة تؤدي معناها، مثل: "أنتي كتاب أسرُ بها ... يريدون: رسالة، ومثل قولهم: هذه الحرف: نعت يريدون به الكلمة"⁴.
- المذكر التأويلي: ما كانت صيغته مؤنثة في أصلها، ولكن اكتسبت للتذكير بتأويلها باسم مذكر، نحو قولك: " (ثلاثة أنضر)، والنفس مؤنثة، ولكن تم تلويها بالشخص⁵ وهو مذكر.

¹ أصدرت مخطوطة "المذكر الحكمي" و "التأويلي" من على حسن السوراني، 589/4

² سورة قذا: 21

³ خصاله: قذا: 332

⁴ حيث لا نسبة في معنى اليب لابن خضام 512/2، وفي الأجداد والظاهر للسيوسي 263/5 وفي غيره الأدب الجنددي

106/5، 227/4

⁵ ابن جني: الخصائص 418/2

⁶ خصاله: قذا: 332

أنظار العلماء في تصنيف الجنس:

لم يقتصر الاهتمام بمسألة التذكير والتأنيث على حقبة نون أخرى، بل ظل الجهد موصولاً قديماً وحديثاً، فبذل السائقون الوُمنع كله لمدارسها، وتبعهم جيل من المستشرقين والمحدثين العرب، رغبة في استحلاء مسألة الجنس في اللغة، والوقوف إلى كنهها.

لئن هذه الإلماعات التي ظفرت بها مسألة الجنس، أسهمت في تنوع الرأي، وتفسير بعض ما اعتورها. وقد اقتصت هذه المقاربات بمُنحة دينية وغيبية، وانتحى بعضها وجهة أسطورية وذهنية مجردة. وأحسب أن عرض بعض ما قيل في المسألة يُجَلِّي بَيِّنَاتِهَا.

■ رأي (A. Gury, M. Feghali)

"نشر هذا العالمان للفرنسيان دراسة حول مسألة الجنس في اللغات السامية، اعتمدا فيها أفكار ميه (Meillet) حول تطور الجنس في اللغات الهند أوروبية القائلة: بأن أول تقسيم للأسماء هو تقسيمها إلى حية وغير حية. ويرى العالمان أن فئة الكلمات التي تعود على الأحياء تنقسم إلى مذكر ومؤنث، وأن الفئة العائدة على غير الأحياء أصبح معظمها مؤنثاً، لكن بعضها احتفظ بالتذكير.

ويذهب هذا العالمان إلى أن جميع التطورات هذه حدثت قبل أن تنقسم السامية إلى لغات مفردة¹.

■ رأي (E.A. Sepeiser)

يقرّر (سبيزر) في مقاله حول دراسات في الأنماط السامية: "أن صمائر الاستعهام محتلفة بالصورة للغات السامية، فضعير الاستعهام لشخص

¹ Grammatical Gender, by, M.H. Ibrahim, PP 42-43

هو صمير واحد، ودو شكل واحد كذلك للمذكر والمؤنث، ففي الصمائر الشخصية لا يوجد تفرق في الجنسين عندما يكون للضمير هو صمير المتكلم؛ لأن جنس المتكلم واضح في جميع الأوقات للمستمعين¹.

■ رأي (Louis H. Gray)

يذكر "لويس. هـ. جراي" أنه يوجد نوعان فقط من الجنس على امتداد الحقبة الرسمية للغات السامية، وفي أغلب الأحيان فإن ذكور الكائنات الحية الفعالة والأشياء التي يأخذها العقل الفطري بعين الاعتبار مذكّرة، ومن وجهة أخرى فإن إناث الكائنات الحية والأشياء التي تأخذها الفطرة أنثى كذلك الأسماء المجردة وصيغ التحقير...².

"ويبدو أن ملازمة الواحق للأنثى إشارة إلى كونه كائناً غير نشيط في ذاته، لا بل غامض واعم، وغير مكتسب أي فعالية. أما الاسم المذكر فيعد كائناً حياً نشيطاً.

وتوزع "المحايد" طبقاً لهذه النظرة. فما هو سلبى يُلصق بالكائنات الأنثوية؛ لأن السلبية إحدى خصائص الإناث، مقارنة بنشاط الذكر (أي أن الأنثى لم يكن يشار إليها بالطريقة التي يشار فيها إلى الذكر بسبب نشاطه ومكانته في المجتمع)³.

■ رأي (Albrecht)

يرى الباحث الألماني بالساميات "ألبريخت" أن للتذكير يتم إطلاقه في العبرية، واللغات الأخرى، على كل شيء خطر، ومتوحش وشجاع، ومعتزم،

¹ Studies in Semitic Formatives, by E.A. Soper, P 33

² An Introduction to Semitic Comparative Linguistics, by Louis H. Gray P 48

³ Ibid, PP 50-51

أحسب أن المستشرقين قد صدروا في طروحاتهم هذه عما أجروه من دراسات (الإناسة) للغات الهندوأوروبية، ومن ثم أسقطت هذه النتائج على الألعاب السامية مطقة العمق والمشاكلة، بيد أن مسيرة الإنسان في الأحقاب السالفة لم تنطبق لدى جميع الأمم. بل اختلفت في نواح تبعاً لعوامل الزمان والمكان، وهذا ما تقرره دراسات الإناسة.

يرى (ألبريخت) أن الساميين أطلقوا التذكير على كل شيء حطر ومتوحش. وللتأنيث على كل شيء أمومي، وإنتاجي، وضعيف ..

يبدو الرأي طريفاً للحاطر الأول، ولكنه لا يطرد، فهناك كلمات كثيرة تدل على الوحشية والقوة والحضور لارتبطت بالمؤنث، كالحرب، والصحراء والسلاح. أما من أجل التقسيم عدد الساميين على أساس الطبقات وأقل القيمة، فإن مزيداً من لطف النظر في حضرات المعرفة (أركيولوجيا المعرفة) لدى الساميين عامة وللعرب خاصة يقفنا إلى أن هذه الأقوام قد مرت بالمرحلة الأمومية (المتريكية)، إذ طعت الأنثى على عبادة الذكر، فهي التي اكتشفت الزراعة في العصور الحجرية الوسيطة، وهي التي كانت تنهض بأعبائها في بادئ الأمر، كونها أكثر التصاقاً بالأرض من الرجل الذي كان يسعى وراء الطرائد.

ونمدنا للبيئات الأثرية في المشرق العربي بأدلة على مركز الأم في هذه المجتمعات، وكيف أن الإله للذكر ظل خاضعاً للآلهة الكبرى، لأن مفهوم الأبوة كان ما يزال غامضاً مع غموض للرجل في عملية التلقيح...¹

فكيف ارتبطت - كما رأى بعض المستشرقين - المرأة ولولحق التأنيث بأقل القيمة، وقد انتسب عرب ما قبل الإسلام إلى قبائل سميت بأسماء مؤنثة². بأنه إن كثيراً من آلهتهم كانت مؤنثة كالكلات، والعزى، ومناة.

¹ حطر: على قصوة؛ مؤنث في تاليم شدة والأشيرة. ص 8-15

The Sacred Mushroom and the Cross, by John Allegro, P 24.

لم تنفرد الأنثى بالواحد، بل التصقت بكثير من المفردات التي أدت
دلالة المدكر نحو: "رجل أمنة (يأمن الناس). وضحكة (يصحك من الناس)
ومرأة، وفترقة ولومة ...¹

أحال بعض المستشرقين للتصنيف إلى السحر والعموص الذين
يكتنن للمرأة، فحلق على كل غامض وحفي صبيحة التأنيث، وأي غموض
يعتور الأرض التي نتعاطاها صباح مساء، فلفناها والفتنا؟
ولماذا لم يطلق الساميون - تأسيًا بهذه الوجهة - التأنيث على
البحر، والإعصار والجبال، والرعد، والبرق؟

لعل هذا الانشعاب في تفسير الظاهرة صادر عن عدم التناغم بين
الجنس الطبيعي والجنس النحوي، والفتنار اللغات السامية على صفتين
رئيسيتين لتصنيف الجنس.

أشرت في البدء أن مسألة الجنس حظيت بأنظار عديدة قديماً وحديثاً،
وقد أومات إلى جهود السابقين والمستشرقين، ولعل عرصاً لبعض جهود
المحدثين العرب يحقق ما نهجس به "بأن مسألة الجنس قد حظيت باهتمام
ورعاية من الدارسين غير تراسل الدهور".

■ رأي إبراهيم أنيس:

يتلخص رأي إبراهيم أنيس في أن ظاهرة التأنيث والتذكير تتجه نحو
الصلة العقلية بين الأسماء ومحلولاتها. فالأسماء المجازية في العربية تميل في
تطورها إلى الاستفراغ، مثل: للطريق، والفصل، والروح، والحر.
ويؤيد ذلك اللغات السامية، إذ إن بعض الكلمات كانت في الأصل
مؤنثة ثم أصبحت مجازية التذكير والتأنيث، كالشمس في العربية والآرامية¹.

¹ يطر، في الأملوي، المذكر والمؤنث، ص 567-592.

ذهب إبراهيم أنيس إلى أن للتطور في ظاهرة التأنيث اتجاه نحو الصلة العقلية المنطقية، فأين المنطق حينما تتباين اللغات داخل الأسرة الواحد كاللغات السامية حول العديد من المسميات؟ فالقمر في العربية مذكر، وفي العبرية مؤنث والخرقة مؤنثة في العربية، مذكورة في السريانية، والبقر في العبرية يذكّر ويؤنث أما العربية فتذكرها، والسريانية تؤنثها.

ما ذكره إبراهيم أنيس أن استقرار الحال على التذكير، لا يؤحد على إطلاقه، فإذا كانت الحمر، والطريق، والسكين .. وغيرها من الألفاظ بحور ليها التذكير والتأنيث، فإن العامة تستعملها استعمالاً آخر، فنقول: هذه حمرة لذيق، وطريق وغرة، ومبينة حادثة.

■ رأي عصام نور الدين:

قدّم عصام نور الدين عدداً من المصنفات غنيت بمسألة الجنس في العربية، نحو: "مميزات التذكير والتأنيث"، و"مصطلح التذكير والتأنيث"، و"مصطلح المحايد" ... يذكر عصام نور الدين في أثناء حديثه عن "المحايد": "العلق: يذكّر (ابن جني) الوحيين، ولكنه يقدّم للتذكير بقوله: العائق يذكّر ويؤنث، ومع ذلك فإننا نذهب إلى أن التذكير هو الأصل، أما التأنيث فدفع بعضهم إلى القول به انحرافاً لغوياً قاله أحد الفصحاء، لو أن بعضهم ادّعى ليسوع زلة لسان، أو خطأ وقع فيه، فالوجه أن يستعمل للتذكير، ويهمل التأنيث.

أما التأنيث فلا يعدو كونه لغوية، أو انحرافاً لغوياً لا يُحكّم به، حتى لو كان صحيحاً فيجب عدم الوقوف عنده لمخالفته روح اللغة وانجاسها التطوري.

¹ يحرر إبراهيم أنيس من لسرر اللغة، ص 146 - ص 147

واللقفا يذكّر ويؤنّث: لكن قارئ الملاحظة في نصوص اللغويين، يرى أن التذكير هو الأصل، وأنّ التأنيث هو لهجة وإن شئت هو انحراف لعوي لقبيلة لا يعتد بكلامها...

يخصّص الباحث إلى القول: فمذهب اللغة التطوري كما يعترضه يذهب إلى التذكير، ولا يعتد بالتأنيث الذي لم يجد فلا يعدو كونه انحرافاً لعوي لا تنبئ عليه قاعدة عدا ما قد يقع باللغة من العموض والاضطراب في حال الأخذ به ...¹

يصدر عصام نور الدين في وجهته عن مقولة تقرّر أصالة التذكير للمعايد (المجازي من المذكر والمؤنث)، وأنّ التأنيث شذوذ عن القاعدة. لو صح ما انتحاه الباحث، فلم عني السابقون واللاحقون أنفسهم في البحث والتتقير للحلوص بضابط جامع، لو معيار مطرد للمجازي من المذكر والمؤنث (المعايد)؟

أظن أنّ حسم ما أشكل من طواهر يقتضي ثروياً وأناة، فكيف يعتد عصام نور الدين التأنيث انحرافاً لعويّاً، لو هو لغة، وقد جاء على لسان قبيلة "عكل" وهي من القبائل الفصيحة التي يُستشهد بكلامها في الدرس اللغوي. ما نكره الباحث باستقرار المعاييد على التذكير، ومثّل على ذلك بالعائق واللقفاء لا يتطابق والواقع اللغوي.

ذكر الأصمعي: "اللقفا مؤنثة، ولا يذكّرها أحد".²

ومن العلماء من أجاز للتذكير والتأنيث، ولم يرجح وجهاً دون آخر. لقد قمت بإحصاء للمذكر والمؤنث للمجازيين في كتب التذكير والتأنيث، وانتهيت إلى عدد من الإشارات:

¹ عصام نور الدين "معايد" أو الذكر والمؤنث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، ج (7-8) 1988، ص 12-14

² المسند، المذكر والمؤنث، ص 113

- ما يذكر من أعضاء الإنسان 49 مفردة
- ما يؤنث من أعضاء الإنسان 56 مفردة
- ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان 19 مفردة
- ما يذكر من سائر الأشياء 58 مفردة
- ما يؤنث من سائر الأشياء 108 مفردة
- ما يؤنث ويذكر من سائر الأشياء 91 مفردة

فهو بمكتبة رد 164 مفردة مؤنثة، وعندها انحرافاً لعمياً على الرغم من أنها سمعت من عرب فصحاء؟
والرغبة في التفسير غاية ترحي، بيد أنها معجزة المؤونة ما لم تنسق والواقع اللغوي، فمهج اللغة التطوري يطلق من روح اللغة وواقعها، وبأى عن الانطباع المجرد.

الجنس الطبيعي والجنس اللغوي،

قسمت العربية انجس إلى مذكر ومؤنث، وما لم تنظم في المذكر والمؤنث الحقيقيين وزع كذلك على المذكر والمؤنث.
وألفت هذه الطريقة إلى فوصي واضطراب؛ لأن التذكير والتأنيث من خصائص الأحياء، فإن أطلق على غير ذلك فعلى سبيل المجاز، ذكر ابن رشد:

"التذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يتجوز في ذلك في بعض الألسنة فيعز عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكلها أشكال مؤنثة، وعن بعضها بالتالي أشكلها أشكال مذكرة. وفي بعض الألسنة ليس يلقى فيه للمذكر والمؤنث شكل خاص، كمثل ما حكى أنه يوجد في لسان

الفرس، وهذا يوجد في الأسماء والحروف، وقد يوجد في بعض الأسماء أسماء هي وسط بين المذكر والمؤنث، على ما حكى أنه يوجد كذلك في اليونانية¹ إن لفصل اللغة على جنسين وحسب قد أعقب إشكالا حاط هذه المسألة، لذا تبليت آراء الدارسين حول هذا الصرّيب من الأسماء، فمبهم من قال بتذكير لفظة ماء، ومنهم من مال إلى تأنيثها، وبعضهم لجأ للوجهين، وكل فريق يستند فيما ذهب إليه على ما روي عن العرب.

- فالأضحى: تذكره قيس عيلان. وتؤنثه تميم. قال الفرّاء: "اجتمع عدي أعرابيان مسنان قيسي وتميمي، وقد جاوز كل منهما التسعين فسألتهما عن الأضحى، فقال التميمي: نثت الأضحى. وقال القيسي: نثنا الأضحى"².

- الثمر: تميم تقول هو الثمر فتذكر، وأهل الحجاز يقولون هي الثمر فتؤنث.

- السُّوق: جاء في الصحاح: قال الأحفش: أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسرابط والسبيل، والسُّوق، والرقاق، والكلاء - وهو سوق البصرة - وبنو تميم يذكرون هذا كله³.

- الشعير: يذكره أهل نجد، ويؤنثه غيرهم⁴.

- العنق: تميم وربيعة يقولون: هو العنق بضم العين وإسكان النون، وأهل الحجاز يقولون: هي العنق بضم العين والنون، وبنو أسد يقولون: هو العنق بضم العين والنون ويذكرون⁵.

¹ في حدّ عامر الخطيب، 275.

² ابن السكيت الطبرسي، مثال في إصلاح الخط، 43: 1.

³ أبو حري، الصحاح مادة "وخر".

⁴ ابن السكيت، تذكر وتؤنث، ص 86.

⁵ الفرّاء، المذكر والمؤنث، ص 73.

أرى أن استقاء صفة للذكورة والأنوثة للحقيقتين عن هذه الألفاظ وغيرها أقصى إلى حالة من التشردم والتعظي، وقد صرح بذلك العراء العرب فجترى على تكثير المؤنث، إذا لم تكن فيه الهاء¹.

ثم يكن التباين اللّهي في تصنيف الجنس وفقاً على العربية، بل نلاحظ هذه الظاهرة في اللغات السامية. فما اللة التي جعلت للشمس مؤنثة، والقمر مذكراً كما هي العربية؟² على الرغم من تأنيث العبرية للشمس تارة وتذكيرها تارة أخرى sémes، أما القمر في العبرية فمؤنث hana.

والشمس في الأكادية مذكّرة šamša، وكذلك في الآرامية.

والقمر في العربية مذكّر، وفي العبرية مؤنث beten.

والكبد في العربية مؤنث، وكذلك في السريانية kabdā، لكنه في العربية مذكّر kabed.

إنّ هذا التباين بين الأسرة اللغوية الواحدة، ليس في ورود الألفاظ في هذه اللغات مؤنث وتذكّر في الآن ذاته.

¹ العرب والمؤنث، ص 81.

² ورد في حيد القويدي مؤلاً حول هذه تأنيث العرب للنفس وتذكيرهم للقمر وجمع الشمس على مكس ذلك. هو ذكر الشمس وتأنيث القمر فأما مذكّرة قوله: "فما السريون فلا يطلون هذه الأمور ويذكرون أن قنبي، انذكر بشتيفه. ما هذه العرب والمؤنث بشتيفه وما ذكره العرب، من ذلك أنّ الآلة من الرقة بيها التي هي سب نارة، كل ما يؤنث هي مذكّر عند العرب. وأما آلة الرمل فلها اسم مؤنث، ولكن الشمس في قصد السائل فصداً بيها ناري لمر الس. في تأنيث شه بيها فلم كثيراً يحتدون في الكواكب العربية لها بناء ط - تارة في ذلك علواً كبيراً. ولكن ما كان منها اشرف عندهم عبداً. وما شجراً الشمس عاصمة باسم الآلة، فإنّ الآلة قسم من اسمها فيصور أن يكونوا لتوها لهذا الاسم، ولاعتلهم لها بنت من الباء. بل هي تعظم عندهم" انوريل والشوامل ص 266-268.

³ ينظر مجموعة من المؤلفات، نحو اللغات السامية، ترجمة مهدي الحارومي وجيد خليل الطائي ص 145 - 148.

وفي العربية فيض من الألفاظ تذكر وتؤنث نحو:

- الأنعام: قال يونس والأحفش، وأبو بكر بن الأنباري¹، وأبو البركات الأنباري² إن الأنعام تذكر وتؤنث.
- الجحيم: هو النار المتظية، قالوا: الجحيم: يذكر ويؤنث³.
- السبيل: يذكر ويؤنث⁴.
- السلطان: يذكر ويؤنث⁵.
- الصراط: أهل الحجاز يؤنثون الصراط، وهو تعميم يذكر ونها⁶.

وفي العبرية ألفاظ تذكر وتؤنث⁷، منها:

روح وريح	rūwah
طريق	dereh,
عظم	*ēsem
دراجة	*ofannāyūn
شارع	nhōh
جيش	mahanch
جهنم، ضريح	šīr ōl

¹ الذكر والتؤنث، ص 346

² الجمع في الفرد، ون الذكر والتؤنث، ص 68.

³ أبو بكر بن الأنباري: تذكر والتؤنث، ص 371.

⁴ القفال بن سالم: مصدر الذكر والتؤنث، ص 56.

⁵ من صفات النحصر 17، ص 15.

⁶ الأحفش: معقن القرآن 1، ص 17.

⁷ See An Introduction to Semitic Comparative Linguistics, by Gray, PP 48-52.

ونجد هذه الظاهرة في الآرامية¹، نحو:

هواء	ar
سيف، حربة	herba
قمر	ochrā
روح	ruhā
سماء	semiā

وتشارك السريانية غيرها من اللغات السامية في هذه الظاهرة²، مثل:

الروح	rūhā
الشمس	šimšā
للقوس	kištā
السماء	smayā
الجمال	gamlā

لعل ما رشح من هذه الإلهاعات يقضي إلى أن اللغة لا تسير وفق منطق عقلي في تعاملها مع الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، مما دعا إلى جمع هذه الألفاظ - التي لا تتصلبها قاعدة - في رسائل ومختصرات حتى تؤخذ رواية وسماعاً؛ لأن الإمام بهذه الألفاظ غدة اللفظ وشروط من شروط الفصاحة، وهو من تمام معرفة النحو والإعراب. فكم فؤاد بكر بن الأنباري:

¹ ينظر: حشوب، لوحيين، تلك الأمور الخفية في نحو اللغة الآرامية، ص 14-15.

² ينظر: إسماعيل عميرة، ظاهرة التثنية في اللغة العربية والصفات السامية، ص 20.

"إن من تمام معرفة النحو والأعراب معرفة للمذكر والمؤنث لأن من ذكر مؤنثاً أو أنث مذكراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً أو نصب مخفوضاً..."¹.

لقد اشككت الألفاظ المجازية في مسألة الجنس على الدارسين؛ لعيب الصلة المادية بينها وبين الجنس النحوي، مما دفع المستشرق "وليم رايت" إلى أفراد صنف ثالث يضم المحايد من الألفاظ، فهو يقسم الجنس في العربية إلى ثلاثة أقسام: مذكر ومؤنث، وأسماء تذكر وتؤنث وهو ما يدعى بالمشترك الجنسي، وفي اللغات السامية أسماء يطلق عليها المحايد².

ما هجس به "وليم رايت" يخصد المقولة الأنفة أن الجنس النحوي لا يصحح ولا يدل دلالة طبيعية أو عقلية على الجنس الطبيعي.

فلا طائل من الإعمال في بحث ماهية التذكير والتأنيث المجازيين؛ لغياب القرائن الموصلة إلى الحقائق. وكان يتعين أن يقرده لهذا النوع من الألفاظ قسم خاص يسمى بالمحايد، ينظم للمذكر والمؤنث المجازيين؛ رعاة للنس، وأدعى للتقعيد.

¹ التذكير والمؤنث، ص 87

² The grammar of the Arabic Language, by, W Wught, P 1/177

الثقافة، اللغة، التحيز:

شعنت الثنائيات الوجودية قصطاً وفيراً من النظر والدرس، فأولاه الإنسان منذ البدء عناية تحت مصطلحات عديدة وأشكال متنوعة، منها الأسطوري والفلسفي، ومنها الاجتماعي. فصار يستبطن عوالمها لاكتناء هذه المعاملة المتكاملة نارة، والمتباعدة نارة أخرى.

وربما كانت ثنائية الذكر/ والأنثى من أكثر القضايا إلحاحاً في التفكير والثقافة، وسنظل تملأ الدنيا وتشغل الناس ما بقي للثقافة؛ لانطوائها على تداعيات ماضوية، فقد رافقت وجود الإنسان، وأحدث بالتنامي والتشبيك لالتباس مفرداتها، وتباين الشريكين في رؤية كل منهما للآخر، وطبيعة الدور المنوط بهما في صياغة الحياة.

لأجل ذلك، برزت قصة "التحيز الجنسي"، وتراحت الدراسات النسوية في سياق تخصصات معرفية متنوعة؛ لتعديل المنطلقات السائدة والأفكار المستكينة عن الذكورة والأنوثة. وتكمن أهمية المراجعة في أنها لا تستقرىء قصة نصف المجتمع، وإنما قضية المجتمع كله منطوياً إليها من زاوية الصياغة الثقافية لمفهوم الجنسين والعلاقة بينهما.

لم تقتصر هذه الدراسات على علم دون آخر، بل تفرقت علوم عديدة لبحث هذه الإشكالية، فعابها علماء اللغة، والاجتماع والإناسة، وانضم إليهم علماء النفس والتربية، والأسلوبية والنقد الأدبي، ولعل ما أدكى هذه القضية هو نهوض حركات نسوية تسعى إلى إقلمة المساواة بين الجنسين¹، وتسليط الضوء على الحيف الذي أعقته الدهور تجاه للمرأة.

¹ يُقَرَأ أحد جزأ من اللغة والخطاب الحسن، ص 8

وصاحب الاهتمام بتحرير المرأة العباية بلعتها ورصد الفروق اللغوية بين الجنسين، والوقوف على معالم للجنوسة^١ بوصفها علماً تحليلياً يكشف الفرضيات المنحيزة في فكر الثقافة عموماً والعربية خصوصاً.

رأت الحركات النسوية أن التحيز للذكورة مكن الرجال من السيطرة على الأعمال المهمة والوظائف المتحكمة، ومحاولة إقصاء المرأة عن المنافسة، مما حرّمها من فرصة الظهور للعالم، ومنعها من الحصول في عالم الشهود لتشكل الواقع، فطلت ثابرة على حواف الذاكرة، فإن همت بالتفكير فعقلها خداج، وإن طمعت فتجارها مدروع القيمة والأهمية، وإن تحدثت فكلامها ثرثرة ولغو.

إن هذا الترسيم لأدوار الذكر والأنثى ليس من تبعه الحاضر، بل هو وليد الفكر الإنساني عبر ركائمه المعرفي، فقد أطلقت المجتمعات على تفضيل الذكر على الأنثى، واصطبغت بهذا الاعتقاد الأنطولوجي، ولا سيما التصنيفات اللغوية، فقسّمت الجنس إلى مذكر ومؤنث، واتخذت من الذكر أصلاً للمؤنث.

ويُستشف من هذا التقسيم حفايا تتجاوز حدود اللغة، لتمتد في سندها إلى بدء التكوين وباكورة للخلق. "فالأصلية والفرعية" التي لتكات عليها الأجيال للتعاظم مع الجنسين ليست منفصلة عن قصة خلق آدم، واشتقاق حواء من صلعه، فهذه للقصة وما أسبق عليها من تعويرات أسطورية

^١ الجنوسة: يعود المصطلح لغوي إلى جنس (genus) في لغو اللغويين اللغويين، إذ هو في لغات العربية مشتق من كلمة قلابية التي تعني نوع أو الأصل (genus) ثم تفرقت في اللغة الفرنسية في مفرد (gender) في تعني أيضاً النوع أو الجنس وتعبر عنه - بعد ذلك - بالذكورة، فذكره في لغات كنه الأساس الاجتماعي والاقتصادي والفكرية والدينية، ومن المفرد الإنساني كل هذه الدراسات تعود إلى تعني في لغات أخرى السوية في مكرها على مفهوم الجنوسة؛ لكشف الفرضيات المنحيزة للثقافة في فكر الثقافة عموماً والعربية خصوصاً. هذا معاني الروابي، وسعد البرعي، دليل القيد الإنساني، ص 83-85.

وتوراتية تُعكّز المرجع للمؤسّس لأدوار الجنسين في الحياة منذ طفولة البشرية حتى عصر الانعجاز المعرفي.

لذا أرى أنّ في استدعاء هذه القصة تحليلية لماهية العلاقة بين السكر والأنثى. تتكرّر للتوراة: "أَنَّ للرب الإله جبل آدم من تراب الأرض، وبعج فيه نسمة حية، فأخذه ووضعها في جنة عدن"¹.

"وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيلاً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه، وملاً مكابها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، هذه تدعى حواء امرأة؛ لأنها من امرئى أخضت"².

"وكان الرب الإله منح آدم وحواء أن يأكلا من شجر الجنة فأكتهما، والّا يقربا من شجرة معينة، فلما أراد إبليس أن يستلهما دخل في جوف الحية، فقال لحواء على لسان الحية: ألم يحظر عليكم الله أكل الفاكهة؟ أجابها حواء: كلا، بل نصحنا بالابتعاد عن شجرة معينة في وسط الجنة، وإلا كانت عاقبتنا الموت، قالت الحية/ الشيطان: إيس فقد خدلكما الله؛ لأن ثمرها لا يسبب الموت بل يُورث الحكمة، إنه يريد أن يفيكما في جهل مُطبق، واقتنعت حواء بأكل الفاكهة، ومارست الإغواء الجنسي لإقناع آدم بأكل الفاكهة"³.

وتتابع الرواية التوراتية صياغتها لخروج آدم وحواء من الجنة:

"بعد أن تناول آدم وحواء من ثمرة المعرفة نظر كل منهما إلى الآخر، فأبركا في الحال أنهما عريانان، عند ذلك قطعاً أوراق للجنة ليصنعوا منها لباساً

¹ سفر التكوين، الإصحاح 2: 16.

² السفر عدد، الإصحاح 2: 16-24.

³ السفر عدد، 13-16.

لهماء، فنادى للرب الإله يا آدم، أين كنت؟ قال آدم: أنا هنا يا رب، قال ألا نخرج؟ قال أستحي منك يا رب، فسأله الرب ومن أحبرك أنك عريان. هل أكلت من ثمر الشجرة المحرمة؟ فقال آدم: أعطتني حواء من ثمر الجنة فأكلت، فقال للرب الإله:

يا حواء أنت عزرت عهدي، فإني لا تحمليه حملاً إلا كرهها، فأبدا أريد أن تصمي ما في بطنك أشرقت على الموت مراراً، فلدن أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت الكوال امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؛ ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسناً تثبت لك، وتأكل عشب الحقل، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها؛ لأنك تراب، وإلى تراب تعود...¹

إن مقارنة جوانية لقصة التكوين - حسب الصياغة التوراتية - بقلنا إلى جملة من الإلهامات تتمثل في أن الأسطورة التوراتية تحمل تعليلاً لجملة من الطباع الملازمة للمرأة، فهي معادل موضوعي للمكر، ولدهاء، والخطيئة، وهي التي أوقعت الرجل البريء بحبائلها، فمارست إغواءها الجنسي لتحقيق مآربها، ويبرر الجنس سلاحاً مثقفاً للمرأة، لا مناص عنه لكسب معاركها.

- خروج آدم من الجنة - حسب الصياغة التوراتية - سببه المرأة، لذا حُمِلَت خطيئة البشرية، فزولا حواء لم تحس أنثى روجها الدمر كله، - اقترنت للمرأة بالحيّة، وهي دلالة رمزية بين حواء التي اشتقت من حي، والحيّة رمز للخبث والدهاء، فكلتا اللفظتين تتصوي تصت جدر واحد حي.²

¹ اسم التكوين، 20/21، ونظر أيضاً الطوي، جامع البيان في أحكام القرآن 335/1-337.

شمة ملحق تومي إليه الصياغة التوراتية هو تقسيم الأدوار بين الجنسين، فالرجل كما قرّر إله للتوراة هو سيد المرأة ومالها، والمرأة موفقة على الإنجاب وتحمل المشاق، تكفيراً عن الخطيئة التي أقدمت عليها، فلولا حواء ما حاضنت امرأة، ولا اقترفت أنثى فاحشة.

- ابن قمرأة - وفق الأسطورة التوراتية- هي قريب للشيطان، وسلاحه الأمضى؛ لذا رشح في المخيال الشعبي لن النساء حيائل الشيطان، وما آيس الشيطان من شيء إلا أتاها من النساء.

- وما يستشعر من الصياغة الأسطورية هو قسوة الإله، فهو لا يقصّر عفايه على آدم وحواء، بل يحلّ العقوبة على ذلّيهما من بعد، لضرب اللعنة على المرأة أينما حلت؛ لأنها سبب شقاء الإنسان.

ولعل هذه الأسطورة أفضت بالقدّيس (ترتولين) إلى القول:

"يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكنّ ولجسكن عامة، لذا يجب أن يبقى في سلكن الشر والحق. أنتن أيتها النساء مدخل للشيطان، اللاتي قطعتن من ثمار الشجرة الممنوعة، كنن حطمتن القانون الرباني، أنتن اللاتي خدعتن آدم؛ وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملته، أنتن اللاتي أصعبتن أسماء الله بسهولة كاملة. إن شقاء الموت يرجع لعلكن الفحيح، وحتى موت ابن الله يرجع لعلكن الشليح".¹

أسهمت الأسطورة التوراتية في صياغة الرؤى حول الرجل والمرأة فيما بعد، وكأنها ناموس رباني راتب، وهذا ما نلمحه في الأنبيات الدينية والمسيحية، ففي رسالة يوحنا لأهل كورنثوس مُنحة توراتية عن العلاقة بين الحسنيين، يقول يولفس:

¹ لعل شليح هو الذي هلك في الجحيم، مع تيكلي. مسعودي لستة صان الفكرى ج6، ص6. 2001. ص8.

"الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل، الرجل لم يخلو من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل".¹

وفي الرسالة نفسها يذكر: لتصمت ساؤكم في الكنس؛ لأنه ليس مأدوباً لهم أن يتكلم، بل يخصص كما يقول التاموس أيضاً.
"لئنها النساء احضعن لرجلكن كما للرب؛ لأن الرجل هو رأس المرأة كما هو المسيح أيضاً رأس الكنيسة".²

هكذا حددت العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من السيطرة والتبعية، فالرجل رأس للمرأة، لأنه الأقدر على التمييز والتدبير، أما المرأة فينحصر دورها في الإشباع الجسمي، وترتيب شؤون المؤسسة لاستمرارية النوع، هكذا نداء الطبيعة بقرّر، عليها أن تحضن وتضمت، لأن الكلام شرط ذكوري، ليس للمرأة أن تحترقه، فهذا الدور - حسب تلك الأسطورة - مرغوب من السماء، متسق والطبع كما قرر (أرسطو):

"الطبع هو الذي عيّن المركز الخاص للمرأة والعبد".

لعل هذه المقولة لحظ من سابقتها، إذ تقول الأديان - ما خلا الإسلام-: إن الرب هو الذي حدد المركز للمرأة، فالرب مقولة اعتقادية، أما الطبع فمقولة جوهريّة، فجعل المركز للمنتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثر في التفكير الفلسفي أكثر من المقولة فلاهوتية.³

على الرغم مما أشاعته الأسطورة التوراتية من طلال على التراث المسيحي، إلا أن القرنين ساق للقصة بصياغة منبئة لما جاء في التوراة، فالقرآن لم يتق باللائمة على المرأة، بل كان محايداً في خطابه: (وقد يأمسكن

¹ وكيل لقمي 9-8:11

² انصم نمه 33-22:5

³ بحر هادي العلوي، أصول في دار، ص 82.

سب وروح الجنة وكلامها رغداً حيث شئنا ولا تقرها هذه الشجرة فكوا من الظالمين ﴿٣٥﴾ فأرلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه وقلنا اضطربا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين^١.

وفي سورة طه ﴿٣٦﴾ قلنا يا آدم إني هذا عدوك ولزواجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴿٣٧﴾ إن لك ألا تخوع فيها ولا تمرى ﴿٣٨﴾ رآنك لا تفلتوا فيها ولا تضحى ﴿٣٩﴾ حوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هن أدنك على شجرة الخلد وملك لا يلى ﴿٤٠﴾ فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا بحصان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ﴿٤١﴾ ثم جنباه ربه قتاب عليه وهدى^٢.

قصة خروج آدم في القرن لم تُعمل المرأة مسؤولية الخروج من الجنة بل كان الخطاب بصيغة المثنى: فأرلها، فأخرجهما، خلافاً لم جاءت به التوراة.

القصة في القرن لم تُسم امرأة آدم، وهذا الأمر دفع الباحثين للتساؤل "إيه أمر يدعو إلى العجب، خاصة وهي أم البشرية، ولول امرأة في هذه الحياة، ثم هي التي ساعدت آدم على الخروج من الجنة، حين أغوته بالأكل من ثمر الجنة - كما تقول التوراة- لعل القرآن عدل عن ذكر اسم حواء لتأثير "سلطان البيئة"، إذ إن التقاليد العربية لم تكن تستسيغ ذكر اسم المرأة من ناحية، ولأن القرآن يصور حواء تابعة لآدم في كل شيء^٣.

نورعت القصة في القرآن على آيات متعددة، فلا يقرؤها باعتبارها نصاً متصلاً، بل إصاءات مجزأة تخلو من تفصيلات خلق آدم وحواء. وخروجهما من الجنة. إلا أن المصريين للمسلمين نقلوا هذه التفصيلات عن التوراة، فشاع في تفاسيرهم إحصاءات أسطورية رستت في المحيط الشعبي خفائق

سورة البقرة 34 35

^٢ سورة طه 117 122

^٣ محمد أحمد عبد الله، الفن القصصى في القرآن الكريم، ص 117

مطلقة عن الرجل والمرأة: فهي مشتقة من ضلع أعوج، وهي قرين الشيطان، ومكس الحطينة والرنيلة، سلاحها الإغراء، وطبعها المكر والدهاء...¹

لعل هذا الاسترسال في مقاربة قصة الحلق في العهد القديم يطوي على فكرة مؤداهما: أن هذا الخطاب المنتج حول الرجل والمرأة قد ترك رواسته في تمثيلات الحياة المختلفة، فرسب في الذاكرة تفوق الرجل وحضوره، وتراجع المرأة عن العمل والشهود، مما جعل الخطاب يتحدث عن مطلق المرأة/ الأنثى، ويضعها في علاقة مقاربة مع مطلق الرجل/ الذكر، "وحيث تُعَدُّ علاقة ما بأنها بين طرفين متقابلين أو متعارضين، يتعين ضرورة خضوع أحدهما للآخر، واستسلامه له ودخوله طائعاً منطقة نفوذه، فإن من شأن الطرف الذي يتصور نفسه مهيمناً أن يُنتج خطاباً عنصرياً بكل معاني الألفاظ ودلالاتها"².

والنقطة في هذه المعادلة ليست مثبتة عن النقاوة، بل هي تعبير عنها، وجزء متعلق في تربتها، فهي وسيط متغير، وتعبرها يعتمد على تعبير السياق التاريخي والاجتماعي لاستعمالاتها. "تتغير مدلول كلمة (Mistress) في الإنجليزية من حاكمة أو سيدة الأسرة في القرون الرابع عشر والخامس عشر للميلاديين إلى عشيقه أو خليعة في القرن السادس عشر، فاستعملت كلمة (Housewife) لتدل على ربة المنزل. يشير إلى تكسي وضع المرأة من خلال علاقتها بالرجل وانتزاع للسيادة منها"³.

¹ نظر - الطوي: جامع البيان في أحكام الفراء 1/229-230، القرطبي: الجامع لأحكام الفراء، ج 7، 4، ص 238. لسان كبر

تفسير الفراء العتيق. 19، 20

² مصر حفيد لورين: دوائر الحرف، ص 29.

³ Woman Words (A vocabulary of Culture and Patriarchal Society) by Jan Mills, PP

أسهمت الذاكرة الجمعية في إقناع المرأة بصحتها، وعدم القدرة على الإبداع، فعند أداة قاتلة للتوظيف، والترميز، والتشكل وفق النظام السائد، أن الحضور والسلبية والصعف والمزوشية (حب الإدلال) ليست صفات بفسية للمرأة، ولكنها تصبح صفاتها من أثر الاصطهاد الاجتماعي الطويل¹.

إن هذا التقييد الذي انسحب على المرأة قديماً وحديثاً ترك إحصاءاته في الثقافة والمجتمع، مما جعل المرأة تظهر كائنات هامشية، تابعة، فاككات على ذاتها، وانغمست في العمل المنزلي، لأن ليس ثمة فضاء ممكن للمرأة غير ما هو مرالب ومكبوت.

لذا لا نعرف النساء في معظم المجتمعات إلا بصيغة علائقية مع الآخر، فهي روجة فلان، أو أم فلان، أو لبة شخص ما، حتى الراهبة - هي التراث المسيحي - تسمى روجة للمسيح.

هذا الناموس الكوسي الذي تكرر بسطوة الثقافة² القصى إلى إنتاج لغة تماهت مع مسطورات المجتمع، فانحازت في أكثرها إلى الرجل، وصورته معياراً للإنسان عموماً، وصيرت الأنثى فرعاً وانحرافاً.

لم تقتصر تمثيلات اللغة على ضرب معين، بل إن فضاءاتها امتدت إلى القانون اللغوي النافذ للعلاقة بين الجنسين، فأسمى الضمير المدكر سائداً، وهو عمدة التركيب، لأنه محور الخطاب ومنتجه.

¹ نوال السعدوي: الأنثى هي الأولى، ص 35

² ساجم نصر وورد جودناغ Ward Goodnagh 1994 الذي استخدمه للمرأة للكتابة اجتماعياً بنظر عدسوي.

علم قديم الاجتماع، ص 118 ص 135

واللغة بفعل هذه للثقافة عنت متحيرة - كما ترى ديل سندر (Dale Spender) إنها ليست عربية تحمل أفكارا، بل هي تشكل الأفكار إنها بربح البشاشات العقلية.

وفي السياق هي لا شيء أكثر من تخيلات الشر المثيرة للسحرية كالقدرة على التمسك بالأنباء كما هي موجودة. وعندما يكون هناك لغة متحيرة لجس ما، وبطريات تقليدية متحيرة أيضاً، فإن ملاحظة الواقع ستكون أيضاً قابلة لأن تكون متحيرة لجس دور آخر¹.

تخاطب اللغة القراء كما لو كانوا رجالاً دائماً، لأن العرف العام تشكل بوساطتهم، ولعل استدعاء إعلانات النظرة يومض إلى ما نرمي إليه، فالإعلانات توظف المرأة أداة إغرائية لعرض المنتجات، وبهذا تستبعد المشاهد الأنثى على نحو صارم، أو أنها تروجُ بالمرأة لأن تنظر نظرة الرجل في اللوعي، لأنها مسكونة بنزعة تقليدية معروضة من الخارج. عرضت الباشبات في الحركات السوية لأشكال التحيز، ولا سيما في اللغة الإنجليزية الأمريكية، فهذه اللغة تمنع في الانتفاص من قدر النساء من خلال الألفاظ والمترادفات الكثيرة:

"في الإنجليزية قرابة 220 مصطلحاً يتعلق بالجس غير الشرعي للنساء مقابل 22 مصطلحاً يخص للرجال.

وزعم أحد الباحثين أن الإهانات الجنسية ردت منذ الحرب العالمية الثانية وابتكر الإعلام المنحكم ألفاظاً تستدل للحركات السوية².

¹ Extracts from Man Made Language, by Dale Spender p. 94.

² The Female World , by Jessie Bernard, PP 376-377

ولا تقتصر الإنجليزية الأمريكية على تشويه صورة النساء الجنسية، بل تؤكد تفوق الرجال، ويعكس للموقع الثانوي للمرأة في عالم الذكور. تعني دراسة للبرامج المصنوعة لتطوير اللغة الإنجليزية كان الجنس المسيطر هو الجنس الذكوري، لذا ليس غريباً أن نلمح هذه الرموز المهمة في اللغة. نحو: للرجال Yell (بمعنى يصرخ)، وللنساء Screams ، Angry للرجال (بمعنى غاضب) وللنساء Fret، وللرجال Growl (بمعنى يتنمر) وللنساء Squeal .

وحلل (فرانسوا) معاني الكلمات المختلفة التي تعود للذكورة والأنوثة، فوجد أن الكلمات المعاندة، للأنوثة مثل: Sweet أو Pretty بمعنى جميلة، هي كلمات ضعيفة، وكلمة Godd تصطبغ بالازدرائية إذا أطلقت على النساء¹. إن تخصيص الرمز اللغوي من قبل الرجال يرمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- إثبات أن الرجال هم الأباء/السادة.
- تكريس الهيمنة على النساء.
- تدعيم رؤيتهم المتمثلة في القدرة على تجنيس (تذكير) الحقل الثقافي مثلما قاموا بتجنيس الحقل الطبيعي للرحم.

وترى لري لرغراي (Laci Ungray) " أن الذكور قاموا - بوعي أو دون وعي - بتمثيل أي شيء له قيمة بما يوافق صورتهم أو جنسهم الذكوري لصمان سلطتهم وهيمنتهم على الخطاب. فأغلب النحويين قللوا بعشوائية الجنس الذكوري، وأنه مستقل عن الدلالات، والإشارات الجنسية، ولكن ذلك ليس

¹ The Female World , by Jessie Bernard, PP 377-378.

صحيحاً، لأنّ ذلتهم قد تسربت في بخضور اللغة، فجهدوا إلى تثبيت المدكر، وإقصاء المؤنث¹.

ولكن كيف تمّت نسبة الجنس إلى الكلمات؟

تري (الرغراي) أنّ ذلك تم بطرائق مختلفة ومستويات متنوعة، فقديم اعتقدوا أنّ هناك تطبيقاً بين ما يسمى بالواقع وجنس الموصوع المنكّم، فالأرض *la terre* هي المرأة، والسماء *le ciel* أحوها، أما الشمس *e solent* فهو للرجل الإله، والقمر *la lune* هي المرأة أخت للرجل الإله².

وهكذا يُلحظ شيء من التماثل الأول يبقى دائماً في جنس الكلمات، ودرجة وصوحها أو اختباؤها يختلف من كلمة إلى أخرى.

فالكائنات الحيّة للقوية التي لها تاريخ (ثقافة) تصبح مدكرة، والأشياء غير الحية وغير القوية، التي ليس لها ذكرّة تسمى (مؤنثة).

وهذا يُفضي إلى أنّ الرجال سيوا لذات إلى أنفسهم، وقاموا باختزال النساء إلى منزلة الأشياء أو فلا تحقق ...

لقد افترض نصيرو الحركة النسوية أنّ اللغة ليست عادلة، وثقافة لتمثل الحقيقة، لذا انبرى هؤلاء لتعديل اللغة من التحيز إلى الحياد، وتنامى هذا النهج بفعل علماء الإناسة في القرن التاسع عشر، وراود كونه في القرن العشرين مع بهوض للحركات النسوية في العالم.

ويُعدّ يسبرسن (Jespersen) (1922) من الرواد الذين بحثوا التحيز الجنسي في اللغة، فقد نعت اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة ذكورية ووسم جربر (Gruber) اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة كره النساء. ومثل على قوله بالفاظ تُظهر هذه الكراهية، فكلّمة *brich* تطلق على النساء وهي في

¹ Language Sexes and Gender, by Luca Lingray, p. 120

² Ibid, P. 121

الأصل تتعلق بالحيوان، وكلمة witch (ساحر، ساحرة) التي تشير إلى الرجال والنساء تستحيل إلى لزدراء إذا أطلقت على النساء.
وهناك ألفا نكتة بذيئة في أمريكا وخارجها صاغها الرجال لامتهان النساء ..¹

وعن مارك توين (Mark Twain) عن مسخه فيما يتعلق بالجنس (من حيث التفكير والتأنيث) في مقاله (اللغة الألمانية للمرجعة) "إنه في الألمانية ليس للمرأة الشابة جنس فارق، فيما يحظى نبات (اللغة) بجنس محدد، وأي وقار ومهابة يتمتع بهما نبات للفت؟ وأي مهانة لحقت بالنبات أو الفتاة؟ والزوجة في الألمانية ليس لها جنس، فهي محايدة".²

تقرون خلت تم بجنس التفكير في الثقافة، مما مكن الرجل من صوغ الواقع وتنسيقه طبقاً لمارسه، فهو يملك القدرة على تشريع نظام من المعتقدات يكون فوق مستوى الخطأ.

فالنكور -حسب توصيف ديل سبندر- "هم المجموعة المسيطرة التي أنتجت اللغة والفكر والواقع، وذلك ببناء الأقسام، واحتيلار المعاني، بعد ذلك قاموا بالمصادقة عليه، وبمريره إلى بقية الذكور، ولم يكن للمرأة في هذا الأمر سوى الانصياع لهذا القانون".³

هكذا طفق الرجل يحتكر الدوال، ويشفر المعنى، فشاع الضمير المذكر وتوارى ضمير الأنثى، لأن الأنثى تتصوي تحت للضمير المذكر، هي الإنجليزية الأمريكية استخدامات (he, his, him) أو كلمات (man, man kind) للإشارة إلى النساء والرجال.

¹ The Female World, by Jessie Bernard, p. 379

² Words and Women, by Gasey Miller P 40.

³ Man made Language, P 13, P 143.

وتستخدم هذه اللغة في وظائف لاحقة (man-) نحو : Freshman، Postman، Salesman، Chairman، مما يرشح في الأذهان أن هذه الاستخدامات غير محددة للجنس، بل تطلق على المعلم.

وتنعت مارجريت دويل (Margeret Doyle) للغة الجسوية بأنها غامضة وغير دقيقة؛ لأنها تستثني أكثر من نصف البشر¹.

هذا التحيز اللغوي يتجلى في العبارات المستخدمة، وفي طريقة اللفظ، وشدة التعبير، وبناء الجملة، وكذلك في مواضع الحديث، فهناك نوال تحمل دلالات مبالغة إذا ألحقت بأحد الجنسين، " ففي الإنجليزية: تعني عبارة He is professional (هذا الرجل ينتمي إلى إحدى المهن المحترمة كالطب والمحاماة، والتعليم...، أما عبارة She is professional فتشير إلى أن المرأة مرمسة محترفة، وكلمة mister تعني "سيد" أما مؤنثها mistress فتعني "عشيقة"².

ومن الأمثلة التي تلجأ إلى التحيز الجنسي في الإنجليزية، أن الأسماء التي ربطت اللغة بالأحداث والنشاطات، وخاصة ما يتعلق بالميل الجنسي قد صيغت تبعاً لوجهة الذكور، نحو: Penetration "الاختراق" و Screw، Fuck، أو Lay استلقاء.

فاضطربت الألفاظ بالأشخاص الذين يميلون إلى الجنس الآخر، مما يوحي إلى أنها أفعال ذكورية تمارس المرأة فيها دور المفعول. وكان يتعين أن تجد ألفاظاً ثنوية طريقها إلى المعجم الإنجليزي نحو Surrounding و Enclosure "محصور، مُحاط"، Engulfing "مغطى، معمور".

¹ Introduction to the A - Z of Non - Sexist language by M. Doyle, P 149

² غيف عزماء أشراء على قنواسات الثغرية للعصر، ص 24

إنَّ اختفاء هذه الدوال ترمي إلى سلطة الرجل في صياغة اللغة واحتكار المعنى¹.

على الرغم من أنَّ الجنس الأنثوي يمثل 51% من السكان، إلا أنه لا يحظى بهذه النسبة في التحقيقات الحياتية² ففي الكتب المصورة تقابل كل صورة لأنثى 11 صورة لذكور.

وفيما يتعلق بعنوانات الكتب³ فتبلغ نسبة الذكر إلى الأنثى 3/8، وهي نسبة قارئة منذ عام 1938⁴.

وقد أجريت دراسة للألقاب في خطاب الرواية الفلسطينية المعاصرة، وانتهت الدراسة إلى "أنَّ معظم ألقاب النساء تكمن في الميدان الاجتماعي والعائلي، وتكاد تنعدم الإشارة إلى النساء في المجالات الثقافية والإبداعي والوطنية والسياسية.

إنَّ الألقاب بما تعبى من اعتراف المجتمع وتقييمه للدور الذي يقوم به الفرد داخله ممنوحة للرجال فقط، وإنَّ الاعتراف بدور المرأة الفلسطينية وهويتها في مجتمعها غائب ويتمحور في حدود صيغة تعكس الشرط الاجتماعي لمنتج النص ومتلقيه⁵.

يُمنح اللقب للإمساك رجلاً كان أو امرأة باعتباره قد شكّل حالة ثقافية معينة داخل المجتمع، ويكون منح اللقب لهذا الكيان الثقافي تحديداً لدور الإنسان ذاته، وإبرازاً له في مناسبات الحياة.

¹ See Gender Based Language , by, Susan F. Hirschman, P 165.

² بدأت هذه النسبة تتغير لصالح الجسد والمثلية من الجنس. ينسج الحركات النسوية التي تلح على حضور الأنثى في اللغة، ولكن

رأى هذه المطالبات في بطلانها.

³ لورولا شوي، فصل الفروق بين الجنسين، ص 98

⁴ ينظر إلحاح كيم غراف، اللامع، اللغة، والرق، ص 12 ص 16

فاللقب انعكاس للشرط الاجتماعي والأطر المعرفية لمنتج النص ومستقبله وليس مرده للغة، إذ إنَّ للغة تحقُّب في تصاعيفها طرائق مترابطة لتحقيق المساواة، والاعتراف بالمنجز للنسوي.

ولكن ما فتى المجتمع الذكوري بعزَّز مفهوم العراة المستحقَّة للرجال، وإن شئت المرأة عن هذا الطوق المحكم عليها قيل إنها بايت طبيعتها، وغادرت مواقعها الخفية إلى عرين الرجل/ اللغة.

وهذه بعض شظايا الانفجار الذي أحدثته رواية (جين إير) "الإملي برونتي"، في صف النقد الروائي في منتصف القرن التاسع عشر:

- إنه فخر أن تكون كاتبة هذه الرواية امرأة.
- إنها تكشف الكثير عن الطبيعة البشرية بشكل حائق ودقيق؛ وهذا ما يستحق الإعجاب، لكنه شيء مروع أن تكون الكاتبة واحدة من بنات الجنس اللطيف.

- فيها خروج وتجاوز عن كل ما هو أنثوي، وهذا خيانة للمرأة.
- رواية "جين إير" لا أنثوية، صحيح أن فيها قوة الرجل وصلابته وحرية في الكلام؛ بيد أن هذا نوع من الاسترجال غير المحبب...¹.

لننقد مناصرو الحركات النسوية هذا الفكر المنحرف في اللغة الإنجليزية الأمريكية الذي أسلم للمرأة إلى مركزية اللوغوس/ العقل، واحتزل دورها في وظائف محددة؛ لذا سمعت للحركات النسوية إلى تطهير اللغة من مظاهر التمييز والتطلع إلى لغة محايدة تتسق ودور الجنسين في صوغ الحياة.

¹ مارك الأمريكي، صوت الأنثى ص 28

تركزت دراسات الجوسمة على اللغات الأوروبية والأمريكية، ولم تحط العربية بالمعاصرة إلا لماماً، وربما يعود ذلك إلى حداثة هذه الدراسات وعدم سيرورتها في المشرق العربي على نحو ما تحقق في الغرب.

لذا لابد أن نعرض للعربية في سياق الحديث عن التحيز والحياد. وسأزعم في هذه المحطات متزج الانتخاب والاختيار الممثلين - في طني؛ لتعذر الاستغناء التام.

يسبغ ونحن نعرض للغة والتحيز أن نحترم من الحط بين اللغة بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين للظاهرة، فإذا كان ثمة تحيز فبمعنى الثقافة وقيم المجتمع لا اللغة، فاللغة محايدة في مستوياتها المتعينة، ولكنها تصطبغ بالأطر المعرفية والاجتماعية للأفراد.

يتعين لدراسة التحيز الإلماع إلى أثر الثقافة في تقاليم اللغة، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، وهي توفر مدخلاً للثقافة، وتعين في الكشف عن المفاهيم المحورية فيها، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالعود الدائم إلى محيطها الأوسع الذي تحلق فيها الكلام.

فالعربية تعكس تمايزات الثقافة التي تشرئت نسقها، وأسهمت في تبلورها، لأن اللغة في حقيقتها نتاج اجتماعي لملكة للسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع لتترجم من خلال تعققات هدية.

فالفرد يكتسب اللغة وهو اكتساب بالضرورة لطرائق التفكير الثابته في باماتها، لأنها للذاكرة الجمعية التي تودع الشعوب فيها خبراتها، وتنقلها إلى الأجيال اللاحقة.

فالثقافة العربية لم تكن بدعاً من الثقافات، فهي تتعمل بما حاورها من حصارات سابقة، وفكر إنساني متقدم، وتتفاعل مع محيطها لتسج منظوميتها من هذا المحيط المتراحم الذي يتناصي بشهقة للتكوين الأولى. وهذا أصل

أصيل في كل أمة، وفي كل لسان، وفي كل ثقافة حازها البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومللهم.

سَقَّتْ الحديث فيما سلف إلى التحويلات التي لكتبتها قصة الحلق الأول، وما أعفته من آثار على الجنس؛ إذ حظي الذكر بالأصالة والعنة، ومُنِيَتِ الأنثى بالفرعية والاختزال.

ولعل كثيراً من المقولات المتقلبة القارة في الثقافة والمجتمع قد أرخت سدولها على اللغة، وتجلت هذه اللطال في الأصول التي أسست اللغة عليها بديانها، وفي المؤونة التي وفرتها الثقافة للعرب والنحويين لتصنيف اللغة، وتعبدها.

لقد حفظت الثقافة العربية مجموعة من الصور النمطية للجنسين، فانسرب ذلك في خلد أفرادها، وتمثل في معابنتهم للرجل والمرأة، فالرجل ظل في المقدمة يرفل بالقوة والمؤدد، هما اقترنت المرأة بالصعب والخر والجبن. هجا زهير بن أبي سلمى آل حصن بقوله:

وما أدري وموف إخال أدري أقوم آل حصن لم نساء
فإن تكن النساء محبات فحق لكل معصنة هذاء¹

علق الأعمى الشنمري على هذين البيتين بقوله: "إن كانوا رجالاً لسيوفهم بعهدهم، وينقون على أعراضهم، وإن كانوا نساء، فمن شأن النساء العدر وقلة الوفاء، وإنما يصلحن للتخبئة والنكاح".²

ويرى طهيل العلوي أن النساء لا يلتزمن بما يملى عليهن:

إن النساء متى يتهين عن خلق فإنه واقع لا بد مفعول³

¹ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 73-74

² المصدر نفسه، ص 74

³ في عيده، العقد القديم، 127/6

والمرأة قرين للفرح كما وصفها أبو تالم:
 فلا تحصياً هنداً لها العدرُ وحدها سحبة نصير كل غانية هند¹
 محد هذا المجتمع الرحولة، فهي ذليلة المدح والبهاء، وحلاف ذلك
 الأنوثة، فهي مادة للهجاء والسخرية. هجا حرير الفرزدق قتلًا:
 جدوا كحلًا ومخمرة وعطرًا فاستم يا فرزدق بالرجال
 وهجا أحد الشعراء عتياً:
 فسادة عيس في الحديث نساها وقادة عيس في القديم عيها²
 والمرأة ترد في بعض تحققات الثقافة رديف للعن والضلال، قال أبو
 العلاء المعري:

إذا بلغ الوليد ذكك عشرًا فلا يدخل على الحرم الوليد
 ألا إن النساء حبال عي³ بهن يصيغ الشرف التليد³
 نعل تلزم المرأة بموضوع الهجاء دعا أبا تمام أن يخصص باباً لمذمة
 النساء في كتاب الحماسة، فإذا علما أن أبا تمام كان أول من صنّف الشعر
 تصنيفاً موضوعياً، فتلك إمارات عن الثقافة التي رسبت هذه الأنظار.
 إن استجلاء صورة المرأة في الشعر القديم يُشعر بأنها غرضت
 مثلاً منزوع الحركة، أو أداة رمزية قابلة للتوظيف، فصورها ليس
 حصوراً كيانياً مُتجاً، بل في كثير من التمثلات كانت عاجزة عن الحركة،
 تنسم بالعطالة والسلبية، لأن الشاعر يُشكّل ذاتها وفق ثقافته ورؤاه. قال الترميز
 بحد ذاته عملية نُقلص المرموز إلى مخض بعده بوصفه موضوعاً، بينما يحتكر
 الزامر أو مؤول الرمز كل الداتية لحسابه، ومع أن الترميز يفترض أصلاً

¹ ديوان أبي تالم 8/2

² المروني، شرح ديوان المثلث 226/1

³ البطيبي، شرح المختار من الروايات في العلامات، محمد عبدالمجيد، 140/1

بالموصوع المرموز أن يكون قبلاً للتشكيل، أي مادة مطوّاع يحد الآخر مصائرهما.¹

لقد جرى تصميمات للمرأة لا لمجرد المنع من الكلام، ولكن منعها من الحصول في اللغة على نحو ما تحقق للرجل، فهي للجاهلية والإسلام تم إحصاء 504 شاعرة²، لكن لم تمنح للقيم المساندة لهؤلاء للشاعرات البرور، إلا من حرّض سنار الصمت، وفرضن تجاربهن بمصاء وعزم، كالحساء، ومكينة بنت الحسين، ورابعة العدوية. ومع هذا لم تسلم تجربة المرأة من الإضرار عليها، ففي خير عن بشار بن برد أنه قال: "ما من شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف، فاعترضه أحد جلسائه. والحساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصبي .."³

وانتقد الفرزدق امرأة قالت شعراً. فقال: "إذا صاحبت النجاجة صباح الديك فلتذبح"⁴.

فالثقافة في بعض أبحاثها عدت اللغة شرطاً ذكورياً، فحكمت على المنجر الأنثوي بالإجهال، فتولدت للمرأة عن مراعاة الرجل حقّه. "ويبدو أنها كانت تخشى أن تمررت في الواقع تحت تسمية تخص جسماً أن تفقد حماية الرجل، التي هي دائماً مشروطة بالانصياع في الثقافة كما في البيت، وكما في المجتمع .."⁵

ضرب هذا السلوك النمط للمرأة بكلّكّه على تمثيلات اللغة "فكل ما نتلقاه من أدب وتراث عن المرأة هو من نتاج هذه الصورة الحرماء لذلك

¹ جورج طرايشي، ربيع المرأة في الرواية العربية، ص 120

² بطر: عهد مهدي، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام.

³ عن حادي العلوي، رسول في المرأة، ص 17

⁴ خليل، مجمع الأشكال 1/105

⁵ طارق الأحمر جي، صوت الأنثى، ص 8

الحسد للنائي، فهذه ليلى. وعزة، وبثينة من المشوقات للهلاميات (الحُرث) مثل اللات والعري ومناة ممن لم نسمع لهن صوتاً، ولم نَقصُرَ وحودهن الفاعل؛ لأن الثقافة لم تُرَدَّن للكلام، وإنما أُرانت سكوتهن وتحليتهن في سماء المحيال المَجْنَح¹.

والطبيعة - طبقاً لهذا المحيال - أُرانت للمرأة للركون في البيت، لتمارس هواجسها ووظائفها الأنثوية. عجز أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

ولا تحمد حسنك إن توافقت بأبدٍ للسفورِ مقومات
فحمل معازل النسوان أولى بهن من البراعِ معلمات

سكبت الثقافة في خلد المرأة لأن الصمت مكرمة، يتعين عليها تقمصه والالتزام به، حتى تحظى بالقبول؛ لأن الكلام لا يتلاءم وطبيعتها التي صاغها المجتمع لها، إنها جسد مثير - كما وصفها ابن حزم: "إنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والعزل وأسبابه، والتألف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلق أسوأ. والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان، وطلب العلم ومكابدة الأسفار، والصيد وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب، وملازمة الفتر ونحو ذلك المحلوم، وعسكرة الأرض، وهذا كله متحيف لفراغ، صارف عن طريق الباطل"².

كرُست الثقافة أبواب الجسدين، فكان للرجال مركزية العقل والمكانة السنية، وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل - تبعاً لوجهة المجتمع - متوقفة غُلْمَة.

"حكى عن امرأة يقال لها المُعْبِرة، كانت أحكم أهل زمانها، وأعرفهم بالأمور، قيل لها:

¹ عبد الله النعماني، ثقافة العرب، ص 39

² ابن سبويه، حروف الحروف، ص 84-85

أيتها الحكيمة: أين تجد العقل معشر النساء؟

قالت: بين الأخاذ¹.

وعن هذا المصطور الثقلي صدر خالد بن صفوان، حين قيل له: أتملُ الحديث؟ قال: إنما يُملُ العتيق، والحديث معشوق للحسن بمعونة العقل، ولهذا يولع به الصبيان والنساء، فقال: وأي معونة لهؤلاء من العقل، ولا عقل لهم؟²

لعل هذا التراتب بين الجنسين أفضى بالجاحظ إلى انتقاد بنية المجتمع التي ترى في الذكورة قيمة أثيلة، وتغاي عن الاحتفاء بالألوانة. ذكر الجاحظ في (رسالة النساء):

"ولسنا نقول، ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال، أو دولهم بطيئة أو طيقتين أو أكثر، ولكننا رأينا ناساً يزرعون عطين أشد الزراية، ويحتقرونهن أشد الاحتقار، ويحسونهن أكثر حقولهن، وإن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأن يُنكر حقوق الأمهات والأخوال"³.

¹ قديم أوي. الروم المظفر في روضة المظفر، ص 137

² أبو حيان القمي، الإمتاع والمؤانسة 1: 23

³ الجاحظ، رسائل الجاحظ، 151/3-152

النحو والتحيز:

لم يكن للنحو بمنأى عن الثقافة السائدة، فقد تبلّرت سيملاؤه من الواقع اللغوي، وما كان للغويين والنحويين إلا أن يركنوا إلى سلطان البيئة والثقافة، معياريتهم محمولة على توصيف لهذا الاحتشاد اللغوي.

رُتبت للعربية أحكاماً نحوية وصرفية وفيرة للتمييز بين المدكر والمؤنث، نحو: تذكير العمل وتأنيته، واستخدام الاسم الموصول المناسب، واستخدام اسم الإشارة للملائم، والخبر، والحال، والنعت، والعدد، والتصغير، والمنوع من الصرف، والتفصيل، وغيرها.

ولعل هذه الوفرة في أبواب النحو والصرف تحققت؛ لاعتقادهم بأن التذكير والتأنيث طريقة من طرق التقسيم النحوي لإظهار التوافق في السياق حتى يكون التماسك فيه واضحاً.

ولكن الحرص على التوافق السياقي لم يكن حلاً من تداعيات الثقافة ووظيفة المجتمع. لذا نلاحظ أن "الأصالة والفرعية" في الجنس اللغوي مشوبة بفكرة للتكوين الأولى، التي قررت أن الذكر أصل ومنه اشتقت الأنثى. وبالضرورة أن يُغلب الأسفل على الفرع لتنسّق والفكرة الجوهرية للوجود. أقام النحويون على هذا الأصل كثيراً من قواعد العربية، ذكر سيبويه:

"الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يُذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكناً".¹

ويقول سيبويه في موضع آخر: "الشيء يختص بالتأنيث، فيخرج من التذكير".²

وتردحت هذه المقولة في مؤلفات النحويين فيما بعد.

¹ سيبويه كتاب، 3، 241.

² المصدر، 242/3.

ذكر المبرّد: "أن كل ما لا يُعرف مُذكر هو أم مؤنث، فحقه أن يكون مذكراً؛ لأن التأنيث لغير الحيوانات إنما هو تأنيث بعلامة، فلما لم تكن بعلامة، والتذكير الأصل"¹.

وقال الرّحاجي: "أصل الأسماء التذكير، والتأنيث داخل عليها"².
ويذكر في موقع آخر: "فأما الأفعال فمذكّرة كلها، وإنما تلحقها علامة التأنيث دلالة على تأنيث الفاعل"³.

ويقرّر ابن جني "أن إلحاق علامة التأنيث للفعل دليل على تأنيث الفعل أو نائبه لا دليل على تأنيث الفعل، فالفعل يدل على نسبة الحدث إلى صاحبه: الفاعل، للمفعول به، نائب الفاعل والحدث جنس، والجنس مذكّر"⁴.

يقدم ابن يعيش للدليل على أصالة المذكر، في أمرين هما:
"مجيئهم باسم مذكّر يعمّ المذكر والمؤنث، والثاني أن المؤنث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلاً لم يفتقر إلى علامة"⁵.

إنّ الفتح المؤنث إلى علامة تحيل إلى فكرة موهلة في المقدم، إذ يُطرأ إلى اللاحقة أنها سمة للضعف وأقل القيمة، بذكر المستشرق فليش "إن هذه اللواحق الخاصة بالمؤنث السوي يجرنا إلى تصور حالة من حالات اللغة صارية في المقدم، حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات، ويبدو أنها قد التفت في طبقة يمكن تمييزها: طبقة أقل للقيمة أو الأدنى، وهي التي يمكن

¹ مبرّد: المبرّد، ص 108

² الرّحاجي: كتابه الجمل في النحو، ص 291

³ فصحى، ص 290

⁴ ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1: 223

⁵ ابن جني: شرح النصب، 5: 88

أن نفس فصائل الكلمات المختلفة التي قد تضمها: كالتصغير، والتحقير واسم الجماعة، وكلمات المعاني المجردة¹.

وأشار يبرسن (Jespersen) إلى ذلك حين قال: "استخدمت اللغات القديمة نهايتين للدلالة على التأنيث، وهما "ā" و "i"، وهي مرتبطة بمعاني الصغر والصاغة والنقصان والضعف في لغات كثيرة قديمة².

التعليب للمذكر:

تعليب المذكر من سنن العرب، ذكر الثعالبي في حديثه عن (خطب الرجال والنساء بالصيغة نفسها):

"قال تعالى عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أقروا أنه)، وقال (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، فعم بهذا بالخطاب الرجال والنساء، وغلب الرجال، وتعليبهم الرجال من سنن العرب³.

وتبعاً لذلك كان تأنيث المذكر من قبيل الضرورة⁴، أما تكثير المؤنث فواسع جداً، لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر لذهب في التكاثر والإغراب⁵.

فإذا اجتمع مذكر ومؤنث خيل الكلام على التكثير؛ لأنه الأصل، فنقول: الرجل والمرأة حسرا، وجعفر وأسماء ابنا أبي بكر. ولو اجتمعت منه امرأة ورجل، لتعين الإشارة إليهم بصيغة المذكر، لا بصيغة جمع المؤنث،

¹ هاري منى العربية النحس، ت. عبد الحسور شاهين، ص 70

² عبد الحار عمر اللغة والعلاص الحس، ص 64، قلا عن

Language, Nature, Development and Origin, by Otto Jespersen, P 394

³ الثعالبي، قلا لغة وسر التاريخ، ص 36.

⁴ أبي حي، سر صناعة الإعراب، 12، 1

⁵ ر منى، الحفص، 417/2

رجل واحد بمقدوره أن يلعب مجتمعاً من النساء ولو كثيراً لأن الذكر في الجبلّة الأولى أصل للأنثى، يقول الأتباري: "للمنكر والمؤنث إذا اجتمعا علّب المنكر على المؤنث، لأنه هو الأصل، والمؤنث مزيد".¹

ويذكر ابن يعيش: "إذا اجتمع منكر ومؤنث حمل الكلام على التذكير لأنه الأصل".² وقال السيوطي كذلك "يعلّب للمنكر على المؤنث إذا اجتمع في التثنية والجمع".³

وتراعى هذه القاعدة في الأعداد، فنقول: "هذا حادي أحد عشر إذا كنّ عشر نسوة معهن رجل؛ لأنّ المنكر يعلّب المؤنث، ومثل ذلك قولك: خمس خمسة إذا كنّ أربع نسوة فيهنّ رجل كأنك قلت: تمام خمسة. ونقول: هذا خامس أربع إذا أردت أنه صير أربع نسوة خمسة... ونقول: ثلاثة اشخص وإلى عبت ساء؛ لأنّ الشخص اسم مذكر".⁴

جمع المؤنث جمع مذكر:

أوردت العربية جموعاً خاصة بالمذكر، وأخرى للمؤنث، إلا أن بعض الألفاظ المؤنثة جاءت على جموع خاصة بالمذكر، نحو: "جمع قاعدة وثائرة، وقائمة، ونائمة، وصائدة: قُعاد، وثُوار، ونُوام وصُداد. وفُعال جمع خاص بالمذكر، والأصل فيهن أن يأتين على قواعد وثُوار، ونُوام، وصُود، إذ فُواعل جمع خاص بالمؤنث".⁵

¹ ابن الأثيري، الذمّة والنوثة، ص 676.

² تميم يمش، شرح النمل، 35/6.

³ السيوطي، التمر 185/2.

⁴ سيبويه، كتاب 561/3-562.

⁵ السيوطي، الألفية، 95/3-96.

جمع فعيل: فعلاء، وجمع فعلة: فعائل، غير أنهم قالوا: امرأة فقيرة من نسوة فقراء. "وإنما جمع خليفة خلقاء، وفعلاء إنما هي جمع فعيل؛ لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكان واحدهم خليفة ثم جمع خلقاء، فأما لو جمعت "الخليفة" على أنها نظيرة "كريمة" و "حليمة" و "رغية" قيل: حلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب، إذ كانت من صفات الإناث، وإنما جمعت "الخليفة" على الوجهين اللذين جاء بهما للقرآن، لأنها جمعت مرة على لفظها، ومرة على معناها"¹.

المذكر خفيف وأشد تمكناً:

نكر سيبويه: "اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث؛ لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يحرج التأنيث من التنكير، ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى، والشيء نكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستقلون"².
علل الرجحان منع العلم المؤنث من الصرف بقوله: "وإنما لم تصرف جميع ما نكر في هذا الباب، لأن التأنيث فرع من التنكير، والتنكير هو الأصل"³.

وذهب السجستاني إلى أن صرف الأسماء ومعها يتناصى بعة الخفة والنقل:

"اعلم أن المذكر أخف من المؤنث، لأن التنكير قبل التأنيث، ولذلك صرف أكثر المذكر للحرجي، وتركه صرف للمؤنث العربي، ولذلك استمر المذكر بعير علامة للتفكير، بل ليست للتنكير علامة، لأنه الأول"⁴.

¹ الطبري: جامع البيان من تأويل القرآن، 540:12 - 541، والأزرعي: محيد، 408:7.

² سيبويه: الكتاب 22.1.

³ الزجاج: ما يعرف وما لا يعرف من 45.

وهذه القاعدة لا تتخلف إلا إذا سمي مذكر بصيغة المؤنث، يقول

سبويه:

«إذا سميت المذكر بصيغة المؤنث صرفته، وذلك أن تسمى رجلاً بحائض أو طامث»².

صيغة تفعيل:

غلب على هذه الصيغة التذكير، ولم تخلُ علل الدخول من تأثير الثقافة التي قصرت هذه الوظائف على الرجال فقالوا: فلانة وصي فلان، وهي كليلي، ووليلي، وأميرنا امرأة.

علل الفراء مجيء هذا البناء بغير هاء بأنه إنما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجزؤا على الأكثر من موصيه»³.

وهجس يمثل ذلك ابن الأنباري، فقال: «ألا ترى أن الإمارة والوصية والوكالة المألب عليها أن تكون للرجال دون النساء ..»⁴.

لعل مشاركة المرأة في هذه الوظائف بعد ذلك ألجأ العلماء لأن يشفقوا لهن صيغة تتوافق وجسهن، ذكر السجستاني: «وربما قالوا: كليله، ووصيته، وجريته، ونحوها بالهاء على القياس، وعلى شركة المنكر»¹.

¹ يُستخدم من هنا السير أن المذكر يدل بحضور تلمي، فالأسماء المذكورة تكلفي تعني الإلف والإيناس، فيما يضرر لأسماء المؤنث. من هنا السير طبع أحمد القاسبي لاختلاف هذا النظام: «هذا السير بين العربي والعربي على مستوى لغة اللغة وعلى مستوى دلالتها مع أنه يميز أمر بين المذكر والمؤنث في الأسماء العربية، وهو يميز على من الاسم العربي المؤنث مساوياً للاسم الأعجمي من حيث التهمة للصيغة، بالإضافة إلى أنه يميز بين المذكر والمؤنث على مستوى البنية الصرفية - يُمنع التمييز عن اسم العلم المؤنث، كما يُمنع من اسم العلم الأعجمي سواء سواء في هذه الصيغة بين المؤنث العربي والمذكر الأعجمي فلاحظ أن اللغة العربية تميزاً، وهذا مختلف للمختلف» ينظر عمر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، ص 30.

² السجستاني، المذكر والمؤنث، ص 37.

³ سبويه، الكتاب، 3: 239.

⁴ الفراء، المذكر والمؤنث، ص 61.

⁵ ابن الأنباري، المذكر والمؤنث، ص 647.

صيغة فاعل:

يُعَلَبُ على هذه الصيغة للتذكير؛ لأنَّ نصيب الأنثى منها قليل، ذكر ابن الأثيري: "لأنَّ بالما وسافراً وعاشقاً نعت متكررة ووصف بهن الإناث، فلم يؤنث بهن لأن أصلهن التذكير، والليل على أن أصلهن للتذكير لأن الرجال يوصفون بهذه الأوصاف أكثر مما يوصف بهن الإناث".

تحليل المؤنث:

مالت العربية في عدد من المواضع إلى التأنيث، فلم يكن اختيارها إلى المذكر على إطلاقه، فقد أحصى محمد عبد الحلق عَصِيْمَة تأنيث الفعل وتذكيره في القرآن وخرج بجملة من النتائج:

- أن القرآن أنث الفعل مع المجازي للتأنيث المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 264 مرة، وذكر الفعل معه 57 مرة.
- أنث الفعل مع جمع التكمير للمتصل بالفعل أو المنفصل عنه 264 مرة، في حين ذكر الفعل معه 65 مرة.
- بلغ مجموع مواضع تأنيث الفعل في القرآن 617 موضعاً، في حين أن مواضع تذكيره لم تتجاوز 193.
- الغالب في القرآن تأنيث الرُّسُل، فقد جاءت آيات للتأنيث 26 آية، أما مواضع التذكير فلم تتعدَّ سبع آيات³.

¹ الحسن، الذكور والمؤنث، ص 37

² ابن الأثيري، الذكور والمؤنث، ص 142

³ محمد عبد الحلق عَصِيْمَة، دراسات في القرآن الكريم، 7/ 488-489، ج 3، ع 1

تغليب الليالي على الأيام:

ذكر أبو علي: "أعلم أنَّ الأيام والليالي إذا اجتمعت غلبت للتأنيث على التذكير، وهذا خلاف المعروف من غلبة للتذكير على التأنيث في عامة الأشياء"¹.

جمع المذكر جمع مؤنث:

تُجبر العربية أن يجمع المذكر في بعض حالاته جمع مؤنث، وتبعاً لذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع لأصناف من المذكر جمع التأنيث الشائعة، نحو:

إطارات، بلاغات، إجراءات، حسابات، خلاقات، خيالات، إعلانات، شعارات، صراعات، سماعات، عطاءات، قرارات، قطارات ...².

نسبة المذكر بالمؤنث:

ذكر سيبويه أنَّ المذكر قد يوصف بالمؤنث قلماً ما جاء من المؤنث لا يقع إلا لمذكر وصفاً، فكأنه في الأصل صفة لسلمة أو نفس. كما قال (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة)³.

إلحاق المذكر علامات التأنيث:

ألحقت العربية علامات المؤنث بالمذكر، منها الهاء نحو قولك: "رحل بائعة وربعة، وصنورة للذي لم يحج، ونزوة للجان، وتلعة، وصحكة، وهرة.

¹ ابن سيدي الحمص، 115/17

² في أصول اللغة، 59/2

³ سيبويه الكتاب، 237/3

أما الألف الممدودة، مثل: رجل عيلاء، وطبأقاء، وبسر قريثاء، ويوم
ثلاثاء وبرلكاء للشديد القتال، ورجل ذو بزلاء إذا كل جلد الرأي.
أما الألف المقصورة، نحو: رجل خنثى، وزبغرى للمسيء الخلق، وجمل
قصرى إذا كان صحيحاً شديداً، والنهيم نبت له شوك، وخراصي نبت ..¹
يُلاحظ من دراسة المدكر والمؤنث في اللغة، أن أكثر ما غني به
العلماء هو دراسة التأنيث، حتى ليخيل أن المشكلة كانت تكمن في التأنيث،
فاكثر ما صبغه للعلماء كان موقوفاً على أحكام التأنيث، والمؤنثات السماعية،
ولعل أولية قلح تومي إلى ذلك، فقد روي أن هذه عصاتي، لول لغز منمع
بالبادية².

ويبدو أن تعليق المؤنث على المدكر ظل غدولاً عن الأصل، فالأشياء
أصلها التذكير وفق هذه المنظومة اللغوية، ولكن ما ألجأ اللغويين إلى ذلك هو.
المعيار الصارم الذي رسموه لضبط اللغة وتقيدها، فحين غلبوا التأنيث في
بعض الحالات كانوا يحمنون ذلك على المعنى، أو يؤولونه بالمدكر لأنه أصل،
فالفرع يقاس على الأصل عند اتحاد اللفظة وفي ذلك تأثر بأصول الفقه
والمسطق.

وثمة إشارة أخرى، هي أن مؤسسة النحو ظلت جكراً على الرجال،
فلا يتراءى لنا اسم امرأة. ففي إحصاء لترجم (إنباء للرواة على أنباء النحاة)
التي تجاوزت 976، لم نطالعنا سوى امرأة تُعرف بابنة الكنوزي عُنت
بالنحو³.

¹ ابن السكيت، المدكر والمؤنث ص 48-49

² ابن السكيت، الإمداد في اللغة ص 67

³ بنو قنطري، لغة الرواة على أنباء النحاة، ت محمد أبو النضر إبراهيم

فيبدو أن المجتمع وفر للمرأة فرصة التعليم الديني، لحساسية معهن من تعلم علوم الشرع، فأكثرت ما برزت فيه النساء: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه...

الدلالة والتحيز:

وَنُفَت الثقافة للصورة النمطية المألوفة عن الجنسين، فدَثَرَت الرجل بدور الفعل والقوة، وخالَت على المرأة صفات الضعف والعطالة، فسُلِّت كثير من هذه الأدوار إلى حظيرة اللغة، فلتُصَحَّت مفرداتها بلبوس الثقافة السائدة.

إنَّ حُصُور الأنثى والذكر ارتقاء في ثقافة مركورة في تربية المجتمع، وامتداد وجودي للذات التي بُرِثت هذه الدوال، فأُمسى الذكر عصي التعريف، متراحب الدلالة، فيما تعيَّنت الأنثى بدورها الممهود، ففاصت اللغة بتسمياتها حسب مراحل العمر، وبمفردات الجمال والزينة، وبتتبع أدوارها البيولوجية، وبألفاظ النكاح، وبصفات المحمودة والمحمومة... وغيرها من توصيفات لم تخلُ من آثار ثقافية اجتماعية.

ولعل مقاربة لتحقُّق المرأة في ألفاظ اللغة يُفصِّح عما نهجس به.

"المرأة" ترتدُّ إلى فعل "مَرَأَ" أي طعم، وهنا تلتزم الطعم بالطعام، وتُجمَع على غير اشتقاقها، فيقال: ساء ونسوء، وتُعرَّف بأنها مؤنث الرجل، والنساء تعني: "المساكين"، وهذا لارتباط المرأة بالجنس والإتجاب.

وهي "حرم"، والحرم: المنع، ويقال حُرْمَةُ الرجل أي حرمة وأمه، والحريم يعني (النساء)، وفي ذلك إضفاء للامساس على المعردة.

ويقال حليقة الرجل، وطلته/ خمرته، وهي قعيدته، وربصته، وهي طعيبة فلان، ويقال كانت تحت فلان؛ أي روجه، وهي فراشه، وإزاره، ومحمل إزاره، ومحمل مئزره، وألم العيال...¹

فهذه المفردات وغيرها تشير إلى دور المرأة في المجتمع، وبطيرة الثقافة إليها، فهي تابعة للرجل في كل أدوارها، وحضورها موقوف على الإنجاب والمتعة، وهذا يفسر وفرة المفردات الحسية للمرأة، وألفاظ النكاح في معجمات اللغة وأسفارها.

" ذكر أبو زيد امرأة مكورة أي مكوكة، وهرج بهرج هرج، ولحب نخبة، فطاً فطناً، ونشل نشلاً، وفجاً فجناً، وشطاً شطناً، ورطاً رطناً، ولثاً لثناً، وقنطرة قنطرة، ورطم رطماً، وكوم كوماً.

وقال أبو عمر: دحاهاء، وأرهاء، وحصها.

وقال غير أبي عمر: باضمها، ولامسها، ومحزها.

ويقال: امرأة مكامة، أي مكوكة.

ويقال: الكشر والمحج والزعج، والجلج، والعش، والمحب²

وعرض الثعالي في (كتاب فقه اللغة ومس العربيه) إلى عدد من أسماء النكاح، وقال إنها تبلغ مئة كلمة عن ثقات الأئمة، وتخير الثعالي بعضها، نحو:

"المحت، والمسته: النكاح الشديد

الدعس والحزد: النكاح بشدة وعنف.

والهك والهب والإجهاد: شدة النكاح، ولقرهز والذخر، والهرج.."³

¹ ينظر ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص 350-351، ابن الأثير: تفسيره في معاني كلام العرب، 2/ 63-65. وابن

مفسر: لسان العرب، ص 1

² ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص 264، ص 350-351

وهناك ألفاظ عديدة تتعلق بالكاح موزعة في تضاعيف اللمة، وم
يُلاحظ من هذه الألفاظ أنها تنقسم بالإيجاز نحو هذه العلاقة، وإسناد الدور
الفاعل للرجل، وحصر المرأة بالإيعاب والتلقي.

وتستغل أنوار الجنسيتين في اللمة، لتتبي - إلى حد كبير - عن الثقافة
والمجتمع التي تَخَلَقَت في أحناهما. قال الخليل: "لقد: إنكار العقل من هَرَم،
يقال شيخ مُقَدِّد، ولا يقال: عجوز مُقَدِّد؛ لأنها لم تكن في شببتها ذات رأي
مُتَعَدِّد في كبرها".²

ونذكر ابن مكي الصقلي: "للشجاء والشجاعة من مناقب الرجال.

والسُّنَن مضموم في الرجال، محمود في النساء.

والرُّسُح هو قلة لحم الوركين، محمود في الرجال مضموم في النساء".³

ويذكر ابن يعيش أنه "لا يقولون للمرأة عوارة؛ لأن الشجاعة والجبين

من أوصاف الرجال لحصورهم للحرب، وكثرة لقاءهم مع الأعداء".⁴

لقد وقفت على عدد من أسفار اللغة، نحو: (ما اختلفت ألفاظه وانفقت

معانيه للأصمعي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وفقه اللغة للثعالبي،

والمخصص لابن سيده، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، والمترادف والمتوارد

لإبراهيم اليارجي).⁵

وكان وكدي أن أستجلي صورة الذكر والأنثى في ألفاظ اللمة، وهل

أسهمت الثقافة في إصغاء مسطوراتها على أقاليم اللمة؟ فأنتهيت إلى جملة من

الإلمعات.

¹ الثعالي: لغة الفن وسر الفرية، من 185 حتى 186

² الخليل بن أحمد المص: 49/8

³ ابن مكي الصقلي: تنقيح اللغة، 347

⁴ ابن يعيش: شرح القاموس، 67/5

⁵ ينظر: القسري في غاية الكتاب. أثرت قد أحصل نسخة هذه اللغة لذكرها ملاحقاً

مالت الثقافة إلى إضفاء صفات محلثة للجسدين تنسق والتمط المتحضر فيها، فظهر الرجال نسهم ولهم من للصفات الجامعة لمباشط الحياة، مما يؤكد الدور الفاعل لهم.

- أمتزجت صفات للمرأة في هذا الإحصاء بدورها الذي أملاه عليها المجتمع، فهي للزوجة والأم والمعشوقة. لذا اندغمت هذه الأنوار بالألغاط الملحقة بها.

- نالت الصفات المعنوية للرجال سُهْمَةً كبيرة، فهم السادة، وذو العُدول القراححة وهم السُتُسمون بالكرم والشجاعة، وغيرها من صفات العلاء التي تشف عن سيطرة الرجل على روافد القوة والتأثير. فهم القادة السياسيون، والمبتجؤون، والمستشارون، والقادة في الحروب، وأهل العُد والرُبط، ويدهم مقاليد الأمور، وهم المرجع فيما حرب الأمة والمجتمع؛ لهذا اندغمت الصفات الملحقة بهم بالأنوار المتحطلة مناحي الحياة، ولعل هذا الحصور للرجال ترك رسامه في مفردات اللغة ودلالاتها.

- اضطبطت أكثر الصفات المحمودة في المرأة بمُسْنَعَة جسدية بحث، مما يُفصح عن رُؤى للثقافة للمرأة، فهذه الثقافة أرادت المرأة أمًا وزوجة ومعشوقة ولا بد لها من مؤونة الجسد لتحقيق هذه الأنوار، وكأنها رهبة الإنجاب والإمتاع.

- احتفى المجتمع بالمرأة المِطْوَاع، والدلول، والمدعلن، والعشوق، والباهل، والمستير، والعطوف، والملازمة لبيتها القائمة على حراسة الهيكل الأسري، وأعلى المخيال الثقافي والاجتماعي من القيم الجمالية

لصد المرأة، فكاد هذا المحيال أن يختزل للمرأة في جسد يتوقد إثارة وإنتاجاً، فلا غرو أن تتراحم الصفات الجسدية للمرأة قَبُولاً ودماءً، وقد رصدت واحدة وسبعين صفة جسدية محمودة للمرأة، وتسعاً وخمسين صفة جسدية مذمومة، فيما تولدت الصفات الفاعلة التي تبرز الحضور النسوي في المجتمع¹.

وثمة إلماعة أخرى طاغية في فضاء اللغة وتعيناتها، وهي أن الرجل غير معرف بجسده، فهو يمثل الإنسان / العالم / الشامل / المعيار، أما المرأة فهي محدودة الدور والتعريف.

التحيز في المخيال الشعبي :

تقوم أهمية التمثيلات الشعبية في أنها مرآة للحراك الاجتماعي والثقافي، فهي تكشف عن الطابع المستكنة في المجتمع، وتشف عن طرائق التفكير، وفي شأياها تصبغ رواسب الحياة البدائية، والأسطورية، وموروثات الثقافة.

ولعل أظهر التحققات الشعبية تكمن في الأمثال، فهي فطرة باجعة للتجارب المتوارثة؛ لما تنسج به من تكتيف لغوي واختزال معنوي، فصلاً على ذلك السيرة والانتشار، فقليل "أسير من مثل"، ووصفت بأنها مصابيح الكلم. أعملت الثقافة مباحصها في الأمثال، وسكنت في أعطافها بعض المسطورات ولا سيما العلاقة الناعمة للجسدين، مما أفضى إلى ترسيخ معتقدات ثابتة، وفيّج أخلاقية متولدة، فطل الرجل في المخیال الشعبي رديفاً للقوة والقوة، واحتزلت المرأة في أطوار حياتها الجسدية، والصفات المحصورة في الذاكرة الجمعية.

¹ جطر من 164 - من 167 من حله قديم.

إنَّ انعقاد الاتفاق على المعتقدات البدائية والأسطورية في الماضي والحاضر، ينبئ عن أهمية المخيال الشعبي في تجدير المفاهيم والأفكار، لهذا لا نلحظ تعييراً ذا دلالة في التوصيف المتكاثم وللحادث للجنسين، فحضور الرجل في المخيال الشعبي صارخ، متعدّد التحقّقات، وهو ممتد في مسبح الحياة المختلفة، أما المرأة فقد تقتربت بمجموعة من القيم الراقية حاكّت لها داتها وطباعها، وعملت الأمثال على تعريفها وإلحاقها بذات المرأة، فهي وفقاً لهذه الوجهة:

- جسد ضعيف: نكر في مجمع الأمثال: "النساء لحم على وشم"¹ يُضرب في ضعف النساء وسرعة تأثرهن.
- عقل ناقص: قيل: لبُّ المرأة إلى حمق"² يضرب غزراً للمرأة عدد الغيرة وقيل: "صل حلم امرأة فأين عيناها"³. يضرب في استبعاد عقل الحليم. وقيل: حدثت حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعة"⁴ يضرب في سوء السمع والإجابة، وقيل المرأة شعر طويل وعقل قصير.
- ذات كيد: قيل: كل شيء منه (يسر) ما خلا للنساء وذكرهن"⁵ وقيل كل بنية سببها وثئة. والمرأة حبة من ثعت ثين.
- ليست أهلاً للمشورة: قيل: "أنا نذير لكل فتى وثق بالمرأة"¹ وقيل: ما أمر العدراء في نوى القوم"²، يضرب في ترك مشورة النساء، وقيل: "طاعة للنساء ندمة"³ وسمع للمرء ولا تؤخذ يرايها.

¹ البلق: مجمع الأمثال، 19/1

² البلق: مجمع الأمثال، 2/199

³ تفسير نصر، 419/1

⁴ البكري: دليل القائل في شرح كتاب الأمثال، ص 50

⁵ الأربعيني: المنصفي في فحول كتاب الأمثال، ص 50

- قرينة الشيطان: وقيل "النساء حبال الشيطان"⁴.
- محبة للعار والهم: قيل: "عار النساء باق"⁵، وقيل: موت البنات سنرة، وقيل: صوت حية ولا صوت بنية، وقيل: إلي بها العذاب يرافق للنساء والكلاب.
- ضلع أعوج: قيل: "الضربة للسارية والمعنى للجارية"، والمره بحل السجدة ما يتنظف غير بالخيوط.
- لست أهلاً للود: قيل: لا تسكروا نساءكم العرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعنوا عليهم بالعزى، وعودوهن "لا" فإن "نعم" تحرهن⁶. وقيل: للمرأة إذا لعبت أذنك وإيا بغضتك خالك، "ولا تنق بامرأة، ولا تغتر بعال"⁷.
- اتخذ المخيال لشعبي إلى جانب الأمثال ومثل شتى لتدعيم مآثوراته، منها النصائح التي اكتسبت لبوس الحكمة، نحو: عليكم بالسراري؛ فإنهم مباركات الأرحام ...، ومن مرء أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر، .. لا تعلموهن للكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور، .. واننجبوا المساكح .، ومن صبر على سوء خلق امرأة

⁴ قال ابن القتيبي: "كذلك ومثورة النساء ذلك وليس إلى أن، وعرفهن إلى ومن، والكلاب عليهن من لئصارهن بحالهم يامر دور حنة أشجاب غير لك من الأرباب، ولا تنكح امرأة من الأبر ما يجوز نكاحها، فإن ذلك ليعم الحلال، وأمرى بذلك، وهو الحلال، وإلا المرأة رخصة وبس كهرمسة (التي تكثر طود البيت)، ليس هي: هيون الأملو. 78/4

¹ القتيبي: محال الأمثال، ص 315

² البديع، صبح الأمثال، 261/3

³ المصدر نفسه، 292/2

⁴ المصدر نفسه، 384/3

⁵ المصدر نفسه، 410/2

⁶ المصدر نفسه، 51/4

⁷ ابن عدي: القند القريد، 126/6

أعطاه الله نحر آسية امرأة فرعون، . وأجيعوا النساء جوعاً غير مضرّ وأعروهن عرياً غير مئرج، ...¹ وغيرها من المأثورات التي تعبرت بحثه الصامح لتحطى بالقبول والتسلیم.

إن هذه المقولات وغيرها أسهمت في تظهير صورة المرأة في المخيال الشعبي، حتى عدت هذه الإيجاءات للمنطقة طبيعة لازمة في المرأة تلزمها من ومضة الميلاد، فهي مولود غير مرحّب به، يُستقبل على حور. وربما ألجأت نظم الاجتماع القديم، والصراع للعالم بين القبائل العربية إلى هذا المنزع، إذ إن حياة تلك المجتمعات كانت تعتمد على الكلا لسيرورة حياتهم، فكان يتعين الانتقال إلى حمى يوفر سبل العيش لهم ولمواشيهم، فلجأوا إلى الغزو والصراع بين القبائل الأخرى، وكان وقود هذا الصراع الرجال، فاحتلت القبائل بالذكور لما يتطوّرهم من مهمات أثيلة لرفعة القبيلة، وتصيد شوكتها.

أما الإناث فكان في محيل السابقين- مجلبة للعار والهول، لأنهن يؤخذن أسيرات في الحروب، وهذا ما يعافه العربي، لذا ظلت الذكور تحطى بالسود والعلاء وفقاً لتقسيم الأنوار التي أقامتها نظم المجتمع وقيم الثقافة. وإن كانت تغيرت بعض هذه الرؤى لتعبر المعطيات، إلا أن هذا التراث الاجتماعي للجسمين ظل ثلويّاً في تلافيف العقلية الاجتماعية؛ لأن دور الرجل تمثل في الإنتاج والتكامل، فيما ظلت المرأة تمارس هولجسها عبر أسوار الهيكل السرلي. وقد عبر المحيل الشعبي عن ذلك: "البنت لو قذا المخدة تنزل مثل المهدّة"، ويا مخنقة البنت يا رويحة للمعات.

¹ ينظر الدكتور كافي الفرند المجموعة في الأمثال العربية، ص 119-135

أما الولد فيستقبل بالصور والبشر، ولو كان أحرق، قالت إحدى نساء

العرب:

لست أبالي أن أكون مَحْمَقَةً

إذا رأيت حصينة مَحْفَقَةً¹

ويتم ترسيخ التمايز بين الجنسين منذ الصغر، فالأولاد ألعابهم الخاصة بهم كالسيارات، والأسلحة والأقلام، أما البنات فلهن أدوات المطبخ والعرائس وتشير الدراسات النفسية إلى أنه يُمنح لصغار الأولاد باللعب بعرائس أخواتهم بين حين وآخر، ولكن يحتمل أن يكون الولد موضع سفرة إن تكرر ذلك مرات عدة، ولكن البنات قلما يُقدّم لهن دمي السيارات والقطارات، ولا يُشجّعن على القيام بالألعاب الحثيئة، وقد يُوصف بأنهن "مُسْتَرْجَلَات" إذا لم يتبعن الأخذ بالأنشطة الهادئة للرفقة، أما الأولاد الذين يضيقون بالألعاب الخشنة ويلجأون إلى القراءة أو اللعب على (البيانو) فيُسمّون بالمحشّنين² وفي ذلك ترسيم للأدوار المنوطة بهم في المستقبل.

ويوظف هذا المخيال القصص والحكايات لتعريف إماءاته، فنلاحظ أن أدوار المغامرة والبطولة والشهامة مقترمة بالذكور، أما أدوار الضعف والتأثر والخوف فتأخذ طابعاً أنثوياً.

وتتكرر الأنثى وفق هذا المخيال باللمع والحرمة، فلا ينبغي النطق باسمها، إنما يشار إليها بأسلوب التكرار، أو المجهول، نحو:

مرّه، عيال، بنت، أهل، عقيلة، كريمة فلا، هي. هذه المسميات وغيرها تطلق على الزوجة - في الأغلب-، وكان ذكر اسمها محذور

¹ المسفة منجى للمنى.

المرأة المذكر والمؤنث، ص 66.

² مورخا عبر سيكولوجية اللعب، ت. حسن عيسى، ص 230-231.

اجتماعي، لذا يتخرج الأطفال في سنّي الدراسة من إعلان اسم أمهاتهم للأقران؛ لارتباطها في مخيلهم بالمحرم والعيب. وتشيّع عادة عدد بعض النساء أن نعرف المرأة نفسها بـ (زوجها)، أو أن تُصوِّف اسمها إلى زوجها - تأسياً بالخرف الغربي، وفي ذلك احتزال غير واع لادها وكيويتها.

ولا تقتصر آثار لمخيل الشعبي على هذه التحقّقات، بل تمتد في نسج المجتمع، لتشكل الرّؤى عن الكون والحياة طبقاً لتلك الوجهة.

لقد أسهمت عوامل عديدة في حقاء مسألة المدكر والمؤنث، منها الأسطوري، والاجتماعي، والثقافي، فألفت هذه الموروثات نسجها في تمثّلات اللغة، والعلاقة بين الثقافة واللغة علاقة الفاعل بالمنفعل؛ لذا تتلّثر اللغة برواسم الثقافة.

وبسببنا هذا المنح إلى أن اللغة في (مؤنثيتها) محايدة، إذ تمثّل ظاهرة مجردة من المحمولات التي قد تلحق بها من جراء المؤثرات الخارجية، إذن ليس بالمكّة أن نسمّ العربية بالتحيز. ثم نهزّع إلى تعديل نظامها اللغوي، فنلك مغالطة منطقية كالدي يصعّ العربية أمام الحصان؛ لأنّ تعيّنات التحيز تنوي في تصاعيف الثقافة والمجتمع، لا في جبلة اللغة، وبالتالي يتعيّن تعديل الثقافة وقيم المجتمع، ليمكّن ذلك على التحقّقات اللغوية، فحين شاركت المرأة للرجل في مناصب الحياة، وتجاوزت دور حراسة الهيكل المنزلي، أفضى ذلك إلى تعديل المسطورات المصوّغة عن للمرأة، فأصبحت زميلة الرجل في مشروع الحياة، وتجلّت آثار هذه الحالة في اللغة، وما علنت وطأة التعبير صارخة كسيرورتها في الماضي.

لنَّ غياب المرأة عن بعض التعميمات الحادثة، أو صالة
حضورها لا يُعزى إلى اللغة ذاتها، إنما مردُّ ذلك للثقافة المتحللة ذُلمات
المجتمع، ويقتضي ذلك أن نحلَّ مكانها قِيماً تتفق وإنسانية الجسير، حيث
يتعرَّض الخطاب المنجز.

ولعلَّ محاولة بسيطة لاستقراء التراكيب المورفولوجية في
العربية، نفعا إلى الطاقات الكامنة فيها، لتتغنى عن ذاتها التحيز لجس دور
آخر، فالأمر مرهون بمن يوظف للخطاب لغايات مُعيَّنة.

الباب الثالث

الخصائص اللغوية للجنسين

- الخصائص الصوتية والنطقية.
- الخصائص النحوية والصرفية.
- الخصائص الدلالية.
- الخصائص الأسلوبية.
- السلوك النحوي غير اللفظي.

لغنت الحصاص اللغوية للجنسين أنظرا الدارسين، فراحوا يتشعرون
الطاهرة في لغة الحديث ووسائل الاتصال غير اللفظية. ووقفوا إلى جملة من
السمات التي تميز لغة الرجل من لغة المرأة.

ولكن هذه الجهود اكتست في البدء لبؤس الانطباع والإشارة، ولم
تستقل برأسها، فنُزعت في نرج الحديث.

وقد لومص علماء العربية قديماً إلى التمايز اللغوي بين الجنسين،
ولاحظ ذلك في قول ابن جني حين عرض أسلوب الدبة: "إن أكثر من يتكلم
بهذا الأسلوب النساء"¹.

وعلق الباقلاني على قول امرئ القيس "لك الويلات بك مرجلي"
بقوله: "وهذا من كلام النساء"².

ولعل التوسع في درس التأنيث بمستوياته اللغوية المختلفة ينبى عن
الاحتراف بهذه الظاهرة، فخصصت العربية صيغاً وألفاظاً للنساء وحدهن، نحو:
كاعب، حائض، حامل، مريض، ناهد، طالق، ...

"ظاهرة التأنيث صرفياً ونحوياً في اللغة العربية محوراً المرأة (في
الأصل على الأقل)، وهي طواهر متشعبة ومتوعدة، ولكنها جميعاً تُرد إلى
فكرة واحدة، وهي تفرّد المرأة بنمط من الخطاب اللغوي حاصر بها هو خطاب
التأنيث في العربية"³.

أما في الحصور الحديثة فلم تكن العملية بلغة الجنسين على أيدي
اللغويين، إنما نهض بها علماء الإناسة (الأنثروبولوجيا)، فحين عرضوا

¹ ابن جني، المسح في العربية، ص 12

² الباقلاني، معجم القيس، ص 81

³ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 211

للسعوب البدائية أشاروا إلى هذه الفروق اللغوية للجنسين، نحو ما قامت به الدراسات في القرن السابع عشر للخلاف اللغوي في مجتمع الهنود الكاريبيين وتواصلت هذه الجهود من خلال الإرساليات الأوروبية لسعوب آسيا وإفريقيا.

سجل علماء الإناسة ملحوظاتهم عن السعوب الأسبوية والإفريقية، وبعض السعوب البدائية، ذكر "فريزر" (Frazer) في بداية القرن العشرين أن بعض السعوب الإفريقية تحظر على نساءها البوح باسم حميها أو أحد أقاربها الذكور، أو أحد مشتقات هذه الأسماء.

وانتفت بعض الباحثين في الإناسة إلى لغة الرجل والمرأة حين درس بعض السعوب الإفريقية والأسترالية والهنود الأمريكية ..¹

ازدادت العناية بالنمايز اللغوي للجنسين حين شارك علماء الاجتماع الباحثين في حقل الإناسة، فربطوا بين الخصائص اللغوية ومتغيرات الجنس والمجتمع والبيئة، وأثر ذلك على الكلام. ولم تبق هذه الانطباعات نتائج الملاحظة وحسب، بل اتبى العلماء لإجراء الاختبارات وتسجيل الوقائع اللغوية؛ للوقوف إلى الخصائص اللغوية للجنسين، وللعكس الكامنة في هذا التباين.

وعلى الرغم مما بذله علماء الإناسة وعلماء الاجتماع من وكث في الإشارة إلى موضوع اللغة واختلاف الجنسين، إلا أن مهوض الحركات النسوية أنكى جذوة البحث في الخصائص اللغوية للجنسين، فأقرت دراسات تُعنى بالمرأة واللغة، وأشكال التحيز اللغوي وسبل تحياله.

¹ أحمد مختار صر: لغة واختلاف الجنسين، ص7، نقلًا عن:

Japanese Women's Language, by J. Shuhamoto, p 4.

برز من هؤلاء الباحثين والباحثات:

فان حكن (Van Genneken): De sociologische structuur

1913, der Neder landsche, "بناء علم الاجتماع في هولندا".

ويسبرسن (Jespersen): Language. Its nature, development

anc. origin, 1922, "اللغة: طبيعتها، تطورها، أصلها".

وكي (Key): Linguistic behaviour of male and female,

1972, "السلوك اللغوي للذكر والأنثى".

وميلر وسويفت (Miller and Swift): Word and women, 1972,

"الكلمة والنساء".

ولاكوف (Lakoff): Language and women's place, 1973,

"اللغة ومكانة النساء".

وتابع الباحثون دراسة السلوك اللغوي للجنسين، فظهرت دراسات، منها:

ثورن وهنيلي (Thorne and Henely): Language and Sex, 1975,

"اللغة والجنس".

وكيت ميليت (Kate Millett): Sexual Politics, 1977, "السياسة

الجنسية".

وايكنز وإيكنز (Eakins and Eakins): Sex differences in human

communication, 1978, "الاختلافات الجنسية في التواصل الإنساني".

وياغيلو (Yaguello): Less mots et les femmes, 1978,

"الكلمات للمشقة والمرأة".

وسندر (Spender): Man made language, 1980, "لغة من

صنع الرجل".

- وكامرون (Cameron): Feminism and linguistic theory, 1985، "النسوية والنظرية اللغوية".
- وكوتس (Coates): Women, men and language, 1986، "النساء، للرجال، اللغة".
- دد بروور ودوريان دي هان (De'de Brouwer and Dorian de Hann (eds))
- Women's Language, Socialization and Self-image, 1987
"لغة النساء، المخالطة والصورة الذاتية".
- أن باولز (Anne Parwels) Women changing Language, 1998
- كامرون (Cameron (ed)) "النقد النسوي للغة".
- وغيرها من الدراسات ..

لقد اختلفت اللسانيات الاجتماعية بعامل الجنس متغيراً مستقلاً في السلوك اللغوي، إضافة إلى العامل الاجتماعي، والعامل الاقتصادي، وعامل السن.

في البدء كان الاهتمام منصباً على اعتبار المشاعر والمواظب الخاصة بالفرد، سواء كان رجلاً أو امرأة عند الحديث عن الخصائص اللغوية للجنسين، فالجارات الحذسية في حديث النساء أو الرجال توميء إلى اختلافات بينهما على المستوى اللفظي أو التركيبي، أو للدلالي .. ولعل ذلك ما دفع الدارسين إلى اعتبار هذه الخصائص المائزة للجنسين وربطها بسياقها.

ولكن ثمة مُشكل اعتاص على الباحثين، هو: هل الاختلافات اللغوية بين الجنسين بمكنتها أن تُفرد لغة للرجل وأخرى للأنثى؟
 نبأيت آراء الدارسين في ذلك، فمنهم من رفض فكرة الإقرار بلغة للمرأة مِثالية للغة للرجل، ومن هؤلاء يسيرسن (Jespersen)، إذ عدّ الفروقات اللغوية بين الجنسين خصائص تُلَبّ في منظومة اللغة، ولا تستل بداتها.

ودعا كرامر (Kramer) إلى إجراء بحث عن الإشارات إلى الجنس في اللغة على وجه العموم؛ لمعينة لغة الرجل ولغة المرأة، ولا سيما أن ثمة ملامح في اللغة التقليدية المستعملة محطورة على النساء، وأخرى تنتشع بمُسندة أنثوية، نحو:

lovely, sweet, charming, darling, pretty, nice, cute, precious".¹
 إنَّ اختلاف لغة الرجل عن لغة المرأة يتناسب تناسباً طردياً والاختلاط القائم بين الجنسين، فالشعوب التي يقل فيها اختلاط الرجال بالنساء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، تبرز فيها لهجة الرجال مِثالية للغة النساء.
 وكما استحسنت حلقات الانفصال بين الجنسين تكثر مظاهر الاختلاف اللغوي، حتى إنه لينشأ لكل منهما من جرّاء ذلك -أحياناً- لهجة تختلف اختلافاً بيناً عن لهجة الآخر، أو تحتوي لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تُستخدَم في اللهجة الأخرى، وقد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدئية على الأخص.

¹ The Female World, by Jessie Bernard, PP, 380-382

وكما حُفَّت قيود الاختلاط بين الجنسين يخفّ هذا الاختلاف اللغوي، فنكتصر مظاهره على بعض الفروق البسيطة في الأصوات والمفردات والحمل والأساليب¹.

وذهب ماكس أدلر Max Adler إلى أنّ الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في بريطانيا كانت في الماضي أكثر؛ لأنّ الحياة الاجتماعية للجنسين كانت مُحاطة ومُغلقة، على غير ما هو متحقّق في العصر الراهن².
تكثر الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية، فالمرأة تميل إلى المحافظة في اللغة أكثر من الرجل، وهي أكثر التزاماً بالأعراف اللغوية والاجتماعية، ولعلها أكثر مقاومة للتغيير، ويمكن أن تُردّ حساسية المرأة نحو المعيار اللغوي إلى وضعها الاجتماعي غير الآمن، فتسعى لتحقيق المنزلة، وإظهار التضامن.

إنّ أفراد لغة المرأة يؤكّد فكرة التنوع اللغوي المصاحب لتنوع الأوضاع الاجتماعية، والتمثيل لهذا النوع باختيار لغة المرأة لما تتّطّعه من طواهر تخفى على الكثيرين، وهي في الوقت نفسه تقدم مورداً ثرياً للمهتمين بشؤون المرأة³.

لم تكتصر الدراسات التي عاينت السلوك اللغوي للجنسين على الوصف، بل ربطته بالمتغيرات الفاعلة كالعوامل الاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت الفروق بين الجنسين تُعزى إلى العوامل البيولوجية وحسب.
وأُظن أنّ الإلماع إلى بعض الخصائص اللغوية للجنسين منبأة للتّزامن بين اللغوي والاجتماعي. لذا عرّضتُ للخصائص اللغوية للجنسين على

¹ علي عبد الواسع وفي: اللغة والنص، ص 187

² Sex Differences in Human Speech, by Max Adler, P53

³ كمال بنو: علم اللغة الاجتماعي، ص 206.

المستوى الصوتي والنطقي، والمستوى النحوي والصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى الأسلوبية، وقللت ذلك بالسلوك اللغوي غير اللفظي.

وقد فلتعت أسلوب تحليل المصنوع في جمع المادة، إذ إن هذا الأسلوب يقوم على أساس أن السلوك اللغوي هو نوع من السلوك الإنساني، وبالتالي فهو تعبير عن حدث ما.

ورأحت في رصد الخصائص اللغوية للجنسين بين ثلاثة أنواع من تحليل المصنوع.

1. التحليل الكمي الذي يعتمد على القياس والإحصاء باستخدام الأرقام، وقياس التكرار، مما يعكس درجة الاهتمام بفكرة ما.
2. والتحليل النوعي: الذي يقوم على أساس البحث عن وجود صفة معينة أو عدم وجودها.
3. التحليل الكيفي: الذي لا يعتمد على القياس والإحصاء بل يقوم على انطباعات المحلل واستنتاجاته عن المادة.

وقد صدرت في هذه الدراسة عن الافتراضات التي قررها الباحثون والباحثات حين درسوا السلوك اللغوي للجنسين.

الخصائص الصوتية والنطقية:

يقف الباحث في السلوك اللغوي للجنسين على جملة من السمات الصوتية والنطقية تميز الرجال من النساء، منها:

أن النساء لديهن مجال واسع في القدرة على الترنيم باستخدام مستوى عالٍ من طبقات الصوت الذي يتجنبه الرجال عادةً، وهذا المستوى من طبقات

للصوت يمكن أن يكون مصحوباً بتعبير عاطفي، مثل السؤال التابع في نهاية الجملة.

تتفوق اللبنة في استخدام الخصائص الصوتية فوق التركيبية (كالتهنيم، والنفمة)، ويلاحظ ذلك جلياً حين يتردد ولد أوبنت قصة ما، فالبنت توحط التلويينات الصوتية في سردها أكثر من الولد.

- الإناث يستعملن أنماطاً من التهنيم/ تهنيم الجملة تزيد عما يستعمله الذكور، ويلاحظ تهنيم المرأة غلالة من العاطفة واللين، لذا تبدو أصوات الإناث أكثر موسيقية وإيضاحاً من أصوات الذكور.

- للنساء يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورقيقة تتناسب مع الطبقة الصوتية عند الأطفال، فالنساء والأطفال أحد أصواتاً من الرجال؛ لأن الترتين الصوتيين للأطفال والنساء أقصر، وأقل ضخامة، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية¹.

- تميل المرأة في الإلقاء والأداء النطقي للكلام إلى السرعة النسبية، وقواعد النبر وطرائق توريده في الجملة والعبارة، وكذلك الحال في موسيقى الكلام.

"وتتراوح تردد نغمة الأساس عند الذكر للعادي ما بين 100 و 200 نبضة في الثانية، ويزيد تردد نغمة الأنثى للعادية على ذلك بطبقة موسيقية واحدة One Octave ؛ أي يكون ضعف تردد نغمة الأساس عند الذكر، ويبلغ

¹ يتراوح طول كل وترين صوتيين حوالي 1/2 سم، وعند ثلثه يبلغ بترولوج الوتر عند الذكر بين 7 و 23 سم، وعند الأنثى من 12 1/2 إلى 17 سم. ويتميز تكوين وترين الصوتيين عند الأنثى بانحناءه على كسبة أقل من الأصابع العصية والمضلية والذخية، ومن ثم يكون من حيث الطول والعمق أقل من وترين الذكر.

يشترط بعد مخرج دراسة السمع والكلام، ص 218

² إبراهيم فيس، الأصوات البشرية، ص 8.

المعدل النمطي لتردد صوت الذكر 120 ذبذبة في الثانية، وصوت الأنثى 220 ذبذبة في الثانية².

- نلاحظ المرأة النيرة للخفظة لأنها بلا قوة، وبالتالي أكثر ضعفاً، وتظهر اهتماماً عن طريق سؤالها ومقاطعتها. وتظهر طلاقة أكثر من الرجل.

فقد أجريت دراسة لإنتاج الكلام للرجل والمرأة، وخلصت إلى أن: المرأة تتكلم 1.68 كلمة في الثانية عندما تتكلم مع رجل، و 2.43 كلمة في الثانية حين تتحدث مع امرأة، أما الرجل فينتج 2.13 كلمة في الثانية حين يتحدث مع رجل و 2.02 كلمة في الثانية حين يتحدث مع امرأة³.

- النساء أميل إلى اتباع طريقة النطق الحديث، فقد انتهى (جوشات) في دراسته للفروق الصوتية بين أفراد الجماعة اللغوية التي تضم المنطقة الفرنسية في سويسرا إلى أن النساء لشذ اتباعاً لطريقة النطق الحديث، ودفعه ذلك ليقرر أن دور المرأة في التطور الصوتي، أكبر خطراً من دور الرجل، وعلى ذلك بأن النساء لا يعشن جيلاً وحسب، بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتهم كذلك، فهن أكثر من الرجال صلة بالطفل والفتى، والأمر على العكس من ذلك للرجال؛ إذ إن مجال نشاطهم هو المصنع أو المزرعة أو المكتب، حيث يشاركون هذا النشاط سواهم ممن يملكونهم في المن.

بعد مصلوح. دراسة السمع والكلام، ص 218

² Hesitancy in Female and Male Speech, by Lea Brekweg, p18

ومعنى ذلك أن البيئة اللغوية للمرأة بيئة للجيل الناشئ، أما البيئة اللغوية للرجل فهي بيئة للشباب والكهول¹.

وتلحظ هذه للطاهرة بين الطالبات في الجامعات، حيث تميل الطالبات حتى أولئك القادمت من بيئات قروية أو بدوية إلى اتناح لغة أهل المدن، فيرقن الأصول وينطقن للقاف همزة إلى غيرها من الطواهر الصوتية الشائعة بين أهل المدن؛ ظناً منهن أن ذلك أقرب إلى التحضر والرفق.

وقد أجريت دراسة لبيان الوظيفة الاجتماعية في التنوع اللغوي، واتخذت للدراسة لهجة عمان عينة ممثلة، وحلصت إلى أن: المرأة في اللهجة الأردنية تحرص على لفظ /ق/ رمراً للذرجة والرتبة الاجتماعية (البرستيج). ويميل الرجال إلى نطق [ق] "g" كسطق الجيم القاهرية، لأنهم يعتنون ذلك أصلب، وأكثر رجولة.

وينجذب بعض المراهقين الأردنيين المظاهر الأنثوية مثل /ه/ بدلاً من /ق/ ويعيدونها لغة مخبئة، ويفصل هؤلاء أن يستخدموا المظاهر الذكورية التي منها [ج] بدلاً من [ق] /ك/ لشعورهم أنها مناسبة للهوية الذكورية².

وترى كلمرون (Cameron) أن الرغبة في التميز لدى النساء يدفعهم إلى ترفيق أصواتهن وليست عوامل فيسيولوجية³.

- تميل المرأة إلى ترفيق الأصوات غلباً، ولا سيما لصوات الإطباق (ص، ص، ط، ط) وهذه الأصول لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتخفيف، بيد أن المرأة تنزع في نطقها إلى الترفيق، فتشرب الطاء تاء،

¹ يسر من: اللغة بين القرء والمجتمع، ص 36.

² Social Functions of Language Variation, by Hassan Abd-El-Jawad Al-Abhath. American University of Beirut 1986, PP 22-26.

³ Feminism and Linguistic Theory, by Cameron, p 52.

والظاء دالاً لو رلياً، والصلاد سيباً، وتتطَّق الراء المعجمة كالراء المرفقة أخذاً بالدرجة.

يميل الرجال وامرأهون الذكور في الأصوات الشفوية والأصوات الأنفية إلى النطق من الأنف؛ لاعتقاد هؤلاء أنَّ هذا النطق أكثر حرماً وخشوبة.

وفي لغة التوتد والغزل تبرز الأصوات الحفيفة والأنفية عند الذكور والأصوات الشفوية، وأصوات القهقهة تُسمع من الإناث. وتتميز أصوات الذكور من الإناث صد ممارسة التقليد الأزدرقي.

- يكثر في حديث النساء الأصوات العسوية أو المطاطية، نحو: م م، هـ م م، آ آ، لإظهار الاهتمام بحديث المتكلم والتفاعل معه.

وترى هيرشمان (Hirshman) أنَّ النساء يؤكِّسن الدعم والانتباه والموافقة من خلال استخدام lum, hm, mm، وهذه الحاصلات لوحظت في الحديث الأنثوي- الأنثوي أكثر من الحديث الأنثوي-الذكوري¹.

- يميل الأطفال الذكور إلى التنعيم الهابط والمستوى أكثر من الصاعد، وتكنُّ البنات يوظفن التنعيم الصاعد أكثر من التنعيم المستوي والهابط.

- تتفوق البنات على البنين في الطلاقة اللغوية والتهجي في مختلف المراحل العمرية، إلا أنَّ الفرق سرعان ما يتضاءل في سن 72 شهراً.

وفيما يتعلق باضطرابات الكلام وعيوبه فتبين أنَّ الذكور لديهم عيوب كلامية كالتأتأة والتلعثم تفوق ما لدى الإناث بخمسة أضعاف.

¹ The Female World, by Jessie Bernard, P 379

ويشير ميلر (Miller) إلى أنه في معظم مستويات الأعمار كان كلام الذكور أقل وضوحاً، وتكون نسبة الكلمات المفهومة في سن سنة ونصف 38% لدى البنات في حين تبلغ 14% لدى الذكور.

وتصل البنات إلى مرحلة السيطرة على الأصوات في عمر السادسة والنصف، في حين يبلغ الأولاد ذلك في السابعة والنصف¹. ولعل مرجع ذلك يعود إلى أن الأولاد أكثر ارتباطاً بالألعاب السدكية كالمكعبات والسيارات، والأسلحة، وغيرها من الألعاب التي لا تحمل قيمة حوارية، فيما ترتبط البنات بالعرائس وأدوات المطبخ، وهذه الألعاب تتطلب على قيم حوارية عالية².

ينضاب إلى ذلك أن البنات أكثر توحداً مع أمهاتهن، فالتواصل والحوار يكون أكثر وضوحاً وحرية من الأولاد الذين يتوحدون مع آبائهم الذين يرتبطون بهمهم، فيقل التواصل والاحتياط مع أمهاتهم.

الخصائص النحوية والصرفية:

تميل المرأة إلى البناء النموذجي للتركيب والأسئلة القصيرة التي تظهر البيرة التساولية عند تأكيد شيء، نحو: أليس كذلك؟ هل توافقني؟ هذا هو السهج الصحيح، أم لا؟ ...

وتتطلع المرأة من استخدام السؤال القصير Tag question لبحث المعنى دون مخاطرة كبيرة.

وتنقصر روبين لاكوف (Robin Lakoff) أن استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجد؛ لأن

¹ يهر - ساج حاهر من القوة الشعرية للأشكال العرب وبعدها، من 55 - وما بعدها

² ينظر أحمد عجل عن الفن والمطبخ الحديث، من 149

مثل هذا الاستخدام للسؤال يؤكد أنها لا تستطيع أن تصدر قراراً، وبالتالي عدم الثقة بها لفحص المسؤولية.¹

وتشتم الأسئلة القصيرة ببعض الحاصلات، منها: أنها تشتق من أي جملة مثبتة أو مبنية بشرط أن تصرح العبارة برأي المتكلم، وهي لو هو لديه السبب لأن تكون غير متأكدين من رأيه.²

ويبدو أن استخدام الأسئلة القصيرة بتنظيم صاعد مظهر من مظاهر تأدب المرأة، وترك الحديث مشرعاً.

- تكثر بعض النساء في أحاديثهن من الضمائر: أنا، لي، أنت، أنت، لك/ لك، نحن/ لنا، مما يضيف تفاعلاً وتواصلًا على الحديث، فالمرأة تظهر اندماجاً أكثر من الرجل، وتتوجه بحديثها للمحاطب/ة أكثر من الرجل.

- تقل المرأة من التراكيب الدالة على الأمر لطلب فعل ما، فهي أميل إلى استخدام الأسلوب المؤدب الذي لا يثير نحيوة المحاطب، فيشيع في حديثها: إذا تكرمت أغلق الباب، من فضلك عمل كذا، إذا مسحت ...، وتستخدم لوازم سابقة للطلب مع من تربطها بهم علاقة حميمة، نحو: يا عزيزي/ يا حبيبي/ يا نور عيني/ يا روعي، تريد كذا ..

- تكثر في لغة المرأة التراكيب الشكلية Modal التي تشير إلى أنواع الحديث، والإمكانات والاحتمالات، والملك في الأحداث التي وقعت أو التي سوف تقع، فيسعملان كلمات، مثل: أظن، ينهي لي، التصور، أتوقع، يمكن، يضمن ...، وهن يستعملن هذه الكلمات كثيراً لإظهار الغموض وعدم الجزم.³

¹ The Feminist Critique of Language, by Deborah Cameron (ed), p 246

² Women's Language, p 176.

³ Male and Female Language, by key, P 75

- تميل المرأة في حديثها إلى الألفاظ المدعّمة والمبالغة لتعصّد فكرتها، نحو: رائع كثير، كبير، أبدأ، جداً، مطلقاً، هائل، تماماً، .. تستخدم المرأة الأسماء أكثر من استخدام الأفعال، فهي تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفي، فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة.

"ويُعَلّ بعض الدارسين أنّ التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء مآله إلى طبيعة الجنس، فالتعبير بالأحداث يفضي إلى سيطرة فاعلة، أما التعبير بالأسماء فيعني قبولاً والتزاماً.

وينسحب ذلك على استخدام المرأة للأفعال اللزمة والسكوبية، في حين يميل الرجل إلى الأفعال المتعدية المتضمنة حركة ونشاطاً، لأن الرجل ينحو إلى الفعل والسيطرة¹.

- تستخدم المرأة جمل التعجب، والجمل الاعتراضية، والأدوات والحروف أكثر من الرجل فيشيّع في حديث المرأة استخدام: حقاً، صدقاً، فعلاً، فعلياً، ما أروعها! ما أجملها!، (ما أظنّها)!!، ما أذهبا! .. وهذه أساليب مألوفة، أو مكّمة لا معنى لها كما يقرر اللغويون، إذ إنّ الجمل الاعتراضية والمكّمات (التي ليس لها دور وظيفي فيما يخص المحتوى) تُضعف حقيقة الشيء المراد بثّه. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذه الأساليب تُحدّد وظيفة اجتماعية (كالمساق، والإقناع والتتوع..) وتربط بين المتكلم والمخاطب، فحين نسمع في الإنجليزية هاتين الجملتين:

a- Oh dear, ...

b- Shit, You've,

¹ أحمد مختار عمر: اللغة والتخالف الجنسين، ص 111، فلا عن:

Language, the Sexes and Society, by Philip, Smith, p53.

فمن المتوقع أن تصنف الجملة الأولى بأنها لغة امرأة، والجملة الثانية
Shit, You've لغة رجل، ولو استخدمت للمرأة للجملة الثانية لاستهجن
المستمعون ذلك، ويعتوها بالمسترجلة¹.

وأحسب أن فتحاء المرأة للصفات الدالة على قوة العاطفة يُلمح إلى
مريد من تأكيد الفكرة والتأثير في المستمعين/المستمعات، لذا تتكرر ألفاظ
المجاملة والمبالغة، مثل: فضيع، رائع، حبيب/حبوبة، ربي/ريبة، ياخذ للعقل،
خلو، جذاب، جميل، لسيء، لديد، قمار، فاش، (يهُوس)، (يجن) واحياء
تستبدل (شو) بما التعجبية للتعبير عن التفاعل مع الحدث.

- النساء أكثر استخداماً للجميل المفتوحة غير المكتملة والمتردة وغير
المحددة، فهن يقررن من جملة إلى أخرى دون وضع نهاية لجميلهن، لذا
يتسم كلام المرأة بالتنوع وترسل الأفكار، أكثر من حديث الرجل الذي
يميل إلى التحديد والتكثيف وحصر الموضوعات.

وترى لاکوف (Lakoff) أن كلام المرأة يبدو أكثر تأدياً من كلام
الرجل، وأحد معالم التأدي في الكلام ترك النفاش مفتوحاً، وعدم عرض الرأي
أو الفكرة².

* ينحط إلى تعبيرات دعاء القوة كالقصر والسطر والسلب موقوفة على الرجال، أما تعبيرات الضعيف
فهي للنساء، ويمكن أن تتساقط ماذا تعني بقوى، وأنصف إذا كانت هذه الحروف (حروف التعجب أو
صهيه) بالفعل لا معنى لها؟

بين الفرق بين استخدام shit (سحقاً) أو damn (للعنة)، أو ولادة من عبارات الشتمة الأخرى، وبين
هزيري، أو يا فهي، يكس في قوة التعبير عن الشتم فلفظ يمكن القول إنه لفتنة أد أو عبارة
التمجيد، أو السخط، حلف إلى أي مدى يسمع الشخص نفسه أن يتقبل موقفه ما

* See The Feminist Critique of Language, p 245

* Ibid. P 246

² The Feminist Critique of Language, p 247

وثمة تحليل آخر "أنّ الجمل المفتوحة نتاج القلق والاضطراب وعدم الثقة لدى المرأة"¹.

الخصائص الدلالية:

تُنهج للمرأة في سلوكها اللعوي سبباً تمنعها الاحترام والتقدير، لذا تميل إلى اتباع العرف اللعوي والاجتماعي. أما الرجل فهو أكثر خروجاً على القار، وأقل التزاماً بالمسؤوليات الاجتماعية. فالمجتمع يفرض على الرجل والمرأة أدواراً اجتماعية بأعيانها، ويتوقع منهما أن يسلكا طريقاً مرسوماً يختلف عن الآخر. ويمكن القول: إنّ اللغة تعكس هذه الحقيقة الاجتماعية ذاتها، فحديث أو (كلام) الرجل والمرأة لا يختلفان وحسب، بل إنّ كلام المرأة أفضل اجتماعياً من لغة الرجل، وهذا يعكس الحقيقة الاجتماعية التي تنتظر من المرأة سلوكاً اجتماعياً أرقى من الرجل يتسق ودورها المرسوم².

- تنأى المرأة عن الاقتراب من الألفاظ ذات الدلالة الدلالية أو الحارحة، وتفضل التلميح أو الإيماء، إذا اضطرها الموقف.

يذكر هسون (Hudson): "أنّ النساء تميل نحو استخدام التعبيرات ذات المكانة الاجتماعية الراقية أكثر من الذكور الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية نفسها، وهي نتيجة لميل النساء إلى اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه اللهجة المتواضعة عليها"³.

¹ Women's Language, p 142

² محمود أبو زيد. اللغة بين الثقة والضعف، ص 186

³ هسون. علم اللغة الاجتماعي، ص 190.

ويُلحظ أنَّ للمرأة أقلَّ استحقاقاً لأجزاء معينة من الجسم كالفخذ، والرقبة، واليد، والأعضاء التناسلية للجنسين أما الرجل فلا يأتي من ذكر تلك الألفاظ صراحة.

ولعل ذلك يتسجم مع التنشئة الاجتماعية للذكر والأنثى، فسلوك الأنثى مشروط بهالة من المحرمات (Taboo) يجب مراعاتها، أما الذكر فله فضاءه الذي يمنحه حرية وجرأة.

- يحرص الرجل حين يخاطب المرأة على انتقاء الكلمات التي تصطبغ بدلالة الاحترام ومراعاة كرامة المرأة، لذا يتجنب الألفاظ غير اللائقة أو تلك التراكيب التي تحتمل تفسيرات متعددة. ويتردد الرجل في تداول النكات البذيئة، أو المثاب الجارح على مسمع من النساء.

- تتفوق المرأة على الرجل في وصف الحالة قال الرجل والمرأة قد ينظران إلى حائط له طلاء زهري، فيصفه الرجل بأنه أحمر فاتح. أما المرأة فتعته بأنه: بنفسجي زاهٍ¹.

- تميل المرأة إلى الألفاظ السهلة واللينة المأخذ، أما الرجل فيشرب حديثه ألفاظاً صعبة ومعقدة، وقد يعود ذلك إلى أنَّ المرأة تبتغي التأثير والتواصل مع المحاطين/ المحاطيات، أما الرجل فهو أميل إلى استعراض مهارته وإبداء تفوقه.

- يتحدث بعض الرجال في كلامهم غير الرسمي عن الموضوعات المحرمة والتقنية والرياضية وعن أعماله ومشروعاته ، ونكصك

¹ The Feminist Critique of Language, p 244.

- بعض النساء التحدث عن العقلة والأصدقاء والصدقات، والأمور
البيئية، وبعض الطقوس الاجتماعية، ..
- نحمل بعض الألفاظ دلالة مغيرة فيما لو أطلقت على أحد الحسب،
فالسيد هو الرجل المحترم، أما السيدة: فهي المرأة المتروجة.
 - ابن شارع: غير المؤتب.
 - بنت شارع: لقبطة، أو مومن.
 - وقع الرجل: تعثر، أو أصيب بمكروه.
 - وقعت المرأة: أي سقطت في الرذيلة.
- وغيرها من الألفاظ التي تكتسي غلالة من ثقافة المجتمع السائدة.
- تميز المرأة الألوان ميراً دقيقاً أكثر من الرجل، فتشيع على أنسة
النساء - وخاصة المتطلعات نحو النرجة - اللون: الأحمر، والعنابي،
(الموف)، والبصلي، والكموني، الفوشي، والأرجواني، والبيج، والطحيني،
والكستاني، والمكزي، والنيلي، والتركول، والرصاصي، والشامي،
والذهبي، والكريمي، والاروردي،
- أما الرجال فيميلون إلى المعربة في الألوان، وتتردد لديهم ألوان
بأعيانها: كالأبيض، والأزرق، والأخضر، والأسود، والكحلي، والنبي،
والسكني، ..
- ويعزو بعض الرجال اهتمام المرأة بالكثريق بين الألوان إلى سذاجة
المرأة وثقافة هذا الصنيع، فلا يتوقع من المرأة أن تتخذ قرارات في الأمور
المهمة لذا تشغل بتسمية هذا أرجواني، وذلك هيروري.

وقد نفقُ على أن هذا التفاروت للكلامي يوحى إلى التفارقة الاجتماعية، ولا يستطيع أحد أن يضع التشريعات صد استخدام بنفسحي وعذلي من قبل النساء لو إحار للرجال على استخدامها.

ذكرت لأكوف (Lakoff): أنها سمعت رجلاً يضحك ضحكات متعالية؛ لاستماعه نقاشاً بين شخصين حول غلاف الكتاب إن كان بنفسجياً أو عابياً، فالرجل يرى أن هذا الحول مسلي، لأن الانكباب على الأمور النادرة مصيبة للوقت^١.

وأرى أن ارتباط المرأة بالألوان منعته شغف المرأة بالأنافة والريسة؛ لأن اللباس لغة معصدة للسلوك الكلامي، والمرأة أميل إلى التفاصيل النقية رغبة في التميز، وطلباً للمتعة والقبول.

أما الرجل فإنه ينحاز إلى المحافظة في ألوانه ولباسه؛ لئلا يوسم بالأنوثة أو التخلف، ولأن كانت هذه القيم أحدها بالتصاؤل مع تسارع (التقليعات)، وتنافس دور الأرياء على كسر المألوف والرتيب.

الخصائص الأسلوبية:

- تستخدم المرأة في لغتها جملاً قصيرة، ولقل تعقيداً، ويميل الرجل إلى الجمال الطويلة التي تتطوي على التعقيد والتجريد والافتراض؛ لينتج من السيطرة على الكلام ولغة الأنظار.

وتعزو فيرجينا وولف (F Woolf) الجمال البسيطة لدى المرأة إلى أن شكل الحملة لا يناسب للمرأة؛ لأن الجمال من صنع الرجال، وهي جمال ثقيلة جداً، متشددة لا تصلح لاستخدام المرأة. إن الجمال هي فطياً صداعة

See: The Feminist Critique of Language, p 244.

رجل، فلا تستطيع المرأة أن تُكَيِّف أفكارها وخلجاتها في لغة صبيحت وففت
لحاجات الذكر¹.

- يعلب على أسلوب المرأة للتكرار والمؤكدات والمكثفات، وتكأل من
الحلف والمزاح والكلمات العدائية، ولديها استعداد لتعبير أقوالها
والترجيع عن كلامها، لذا تبدو المرأة في حديثها متواصلة وليست
منقطعة، ولا ترغب في أن تستأثر بالحديث.

لما للرجل فميل إلى التكتيف، والتنافس، ويحو إلى اللغة الشارحة إذا
كان يخاطب أنثى، ولكنه لا يصبر على الاستماع لشروح الأنثى؛ لأنه يعتقد
شرحها ثثرة ولعوا.

- تفرد المرأة بعبارات خاصة بها لا يستخدمها الرجل، نحو:

يا وزدي، (يا غيبتي)، يا خوستي، يا ولاتي، يا مصييتي، يا
شبيتي، يا حبيتي، يا بعد كيدي (تلفظها البدوية يا بعد شدي)، يا
ميمتي، يا سدي، اسم الله حارسك، حوطك بالله (أحاطك الله)،
حوطك بياسين،

وهذه الأساليب تُصغي على حديث المرأة حميمية، وتضامناً.

- تُكثر المرأة من أساليب للتائب والاعتذار، فهي تحترم مستمعيها،
وتصغي إلى أقوالهم باهتمام، ونقل من المقاطعة، أو شفيع الأراء،
وتظهر اندماجاً أكثر مع متحدثيها.

وهي تنص للدوق، وتطلب الإذن للحديث حين تتأكد من أن الجميع قد
أتم حديثه؛ لذا تشيع على لسانها عبارات: إنه يؤسفني أن أقول . . من غير

¹ The Gendered Sentence, by Sara Mills, FP 66 – 67.

مواحدة، لسعة للمقابلة، عفواً للتدخل، اسمح/ ي لي أن أبدي رأياً، أرجو التكرم بالحديث، ..

* أجرى غلس وفارونيس (Gass and Varonis) دراسة لمعايير الحوار بين الجنسين، اختار الباحثان لدراستهما عشرين يابانياً يتعلمون الإنجليزية. وزّع الطلاب في أزواج متقابلة (ذكر / أنثى)، لم يحدث الباحثين نوع الحوار ومدته، بل تركاه مفرغاً. خلّصت الدراسة إلى: أن هناك فروق بين الرجال والنساء في المشاركة، ومدة الحوار، وسيطرة كل منهما على توجيه الحديث والتأثير فيه.

وعُيّن الباحثان أن النتائج تشير إلى أن الذكور والإناث يستخدمون الحوار والنقاش بطريقة مختلفة، فالذكور ينتهزون الفرصة لينتجوا قدرًا أكبر من المخرجات الشاملة، فيما تستخدم النساء الحوار للحصول على قدر أكبر من المتخلات الشاملة¹.

- تبدو المرأة في حديثها الرسمي أكثر ترددًا من الرجل، وقد أجريت دراسة لبحث التردد في كلام المرأة والرجل. صدرت هذه الدراسة عن فرضية روبين لاكوف: أن المرأة تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حرماً من الرجل.

ميّزت الدراسة أربع مجموعات للكلام المتردد:

أ- السؤال القصير: يعني عدم التأكد في بعض الحالات، وعدم التأكد من رأي مسموح، ولكن هناك حالات يكون عدم التأكد غير مسموح به أو غير مشروع.

ب- الأعمال الطيبة (التجنيبة)، نحو: أفكر، أظن، أوقع.

ج- الاحتمالات، نحو: ربما، على الأرجح، شيء من هذا القبيل، وهذا الأسلوب يصنف المحتوى الخالص بالمعنى للكلمة أو للتعبير.

د- المكملات: وهي الكلمات أو التعبيرات التي ليس لها عمل وظيفي بدعم المحتوى. مثل: أنا أقصد، ما أريد قوله، آه، ...¹.

إن تفسير صمت المرأة في الحديث أمر صعب، ولكن يتوقع أن المرأة في الحديث الرسمي تكون في موقف مزدوج مما يسبب لها التردد في الحديث، "إذا تكلمت بأسلوب امرأة، أحست أن ذلك لا يتناسب والأسلوب الرسمي، وإذا تحدثت بالأسلوب النمودجي/المعاري، قيل لها هذا لا ينسجم مع أسلوب المرأة في الكلام"².

التردد في كلام الجنسين:

لقد ثبت أن التحقق من التردد في حديث الجنسين؛ لطى أن صور التردد في كلام الذكر والأنثى ليس مبعثها التفوق الجوهري للرجال، أو الصعاب المكرر في ذات النساء، إنما تنبئ هذه الصور عن توليفة اجتماعية ثقافية تركت إبلاتهن في ذوات الرجال والنساء.

حاولت اختبار الكلام المتردد للذكر والأنثى، فاخترت عشرة رجال وعشر نساء تتراوح أعمارهم بين العشرين سنة والثلاثين.

- فرضيات الدراسة:

اقتصرت على حرمة من الفرضيات أرى أن لها سيورة بين الأفراد عن حديث الذكر والأنثى، يضاف إلى ذلك أن كثيراً من الدراسات التي عُنيت بالسلوك اللغوي للجنسين طبقت على تدلولها، من هذه الفرضيات:

¹ Women's Language, p p 176-178

² Ibid. P 151

- أن العرق في الجنس يأخذ أدواراً مختلفة في الحديث، ولا سيما الحديث المختلف بين الجنسين.
- يكتنف حديث المرأة مبالغات ومكتفات وتوكيدات أكثر من الرجل.
- تتعرض المرأة للمقاطعة في المحادثات التي تكون وجهاً لوجه.
- تميل المرأة إلى التكرار، وتراوح حول الفكرة الواحدة.
- المرأة أكثر ثثرة من الرجل، وتنتج قترأ أكبر من الكلام في الحديث غير الرسمي.
- تستعمل المرأة، لأفعال الطيبة (التجبية) أكثر من الرجل.

- منهج الدراسة:

اعتمدت منهج تحليل المحتوى Content Analysis؛ لأنه منهج ملائم لهذا النوع من الدراسات.

- عينة الدراسة:

تم اختيار العينة عشوائياً مع مراعاة متغيرات:

1. جنس المتكلم. ذكر/أنثى.
2. أسلوب الحديث. رسمي/غير رسمي.
3. جنس المخاطب. ذكر/أنثى.

- الأسلوب الإحصائي: ملت إلى احتساب التكرار، ثم حصر النسبة

المنوية لمجموع التكرار من المجموع الكلي لكل أسلوب.

فتم بتحرير الصديق والثبات بواسطة اختيار العينة عشوائياً، وعرض

نموذج الدراسة على مختصين.

بعد تحليل الأداء انتهيتُ إلى جملة من المعطيات:

الكلام التردد	المفردات		
	الأسلوب		اشادة
	الرسمي	غير الرسمي	جنس التكلم/المخاطب
الاحتمالات	3.73	1.37	2.36 رجل مع رجل
	3.58	2.82	0.72 رجل مع امرأة
	15.05	6.62	8.43 امرأة مع امرأة
	17.23	10.67	6.56 امرأة مع رجل
المقاطعات	6.50	2.85	3.65 رجل مع رجل
	9.51	3.80	5.71 رجل مع امرأة
	10.74	4.19	6.55 امرأة مع امرأة
	5.14	2.1	3.13 امرأة مع رجل
التمكّنات	14.58	6.31	8.27 رجل مع رجل
	14.39	8.11	6.28 رجل مع امرأة
	22.16	8.32	13.84 امرأة مع امرأة
	16.43	7.25	9.18 امرأة مع رجل
التكرار	6.46	1.23	5.26 رجل مع رجل
	15.31	5.39	9.92 رجل مع امرأة
	12.87	5.22	7.65 امرأة مع امرأة
	12.47	7.51	4.96 امرأة مع رجل

مما لاحظته في هذه الدراسة:

- أنَّ للرجال أُميل إلى القطع في حديثهم، ويستأثرون بمدة أطول.
- أنَّ الرجال والنساء ينتجون كلاماً متردداً في الأسلوب الرسمي.
- أنَّ النساء أقل مقاطعة من الرجال، ولا سيما في الأسلوب الرسمي.
- يأخذ الرجال فرصاً أكبر في المبادرات الكلامية والتصريحات فيما يُطرح.
- كانت النساء مصائدات ومؤيدات في أحاديثهم مع الرجال، وأخذن المبادرة بالبناء على ما ذُكر.
- مالَت النساء إلى التفرُّق في الموضوعات، وخاصة في حديث النساء إلى مثيلتهنَّ، وخصَّصن وقتاً أطول للحديث عن الأمور الشخصية.
- انتهت بعض الدراسات إلى أنَّ للنساء أقل ميلاً من الرجال لإظهار الفولوق، ويأخذن أحاديث الرجال على محمل الصاغة والجذوة، فيما يخصُّ الرجل بكلام المرأة، ويصفه بالثرثرة والخواء.
- لقد أُجريت في جامعة بنسلفانيا (Pennsylvania) تم اختيار اثنين من الطلبة الحريجين، أحدهما رجل، والأخرى امرأة، وكانا متساويين في امتلاك مهارة الخطاب الشفوي.

كَلَّفَ للحريجل بإلقاء محاضرات مماثلة في موضوع علم الاجتماع. وكانت المحاضرات للنساء وللرجال، تحدث كل محاضر لصفه في الموضوع الأول في الأسبوع الأول، وفي الأسبوع الثاني تحدثا في الموضوع الثاني، وقد أُخبر الطلاب - مسبقاً - أنهم سيُمتحَنون بالمعلومات التي أُلقيت في المحاضرات؛ لذا حرصَ الطلاب على المتابعة والتركيز.

وحيث أُجري الاختبار كانت المعلومات التي نقلها الطلاب عن المرأة مصحوبة بتعليقات مثل: هي قالت She said this، أو She made the point بمعنى أنها قدمت النقاط.

كانت هذه التعليقات أكثر في المعلومات التي نُقلت عن المرأة، أما المعلومات التي ألقاها للرجل فكانت أكثر قبولاً وثقة من حديث المرأة¹. إن ارتباط حديث الرجل بالجدّة والثقة، واقتراح حديث المرأة بالريبة والهزل أمر لا ريب ورشاح في مسطورات الثقافة وقيم المجتمع؛ لأنّ الأنوار التي يشغلها الذكور والإناث متعبئة في تحققات عديدة، فالقرار الفصل يُعزى للرجل دائماً، أما المرأة فعليها الرضوخ والطاعة. فلم يرتبط دور المرأة بالمواقف الجادة، إذ إنّ الشرقة التي ضربها المجتمع على المرأة أفضت إلى تفريغ شخصيتها من الفعل والتأثير.

لعل هذا الاعتقاد الذي سكبته المجتمع في عقول أفرادهِ هو المحرك لسلوكهم تجاه الذكر والأنثى؛ لذا يصدر الأفراد في تقييمهم لأنوار الذكر والأنثى عن قناعة مسبقة، فتتوق الذكر هو المعيار الرتيب، أما مشاركة المرأة هي الحل والعقد المنعرج واستثناء.

عُثِرَ إحدى الأكاديميات عما تعانيه من الطريقة التي يتبعها الطلاب والطانيات في الجامعة حين يخاطبون أعضاء هيئة التدريس تكوراً وإباناً: "لأسباب اجتماعية معروفة داخل المجتمع، يكون عليهم/هن استخدام لقب مع اسمها في أثناء المحادثة، فيستحتمون اللقب وحده، أو قبل الاسم. واللقب الذي يعاني منه هو "مس" (Miss)، بصرف النظر عن مرجعته العلمية، وعن كونها متزوجات، أو غير متزوجات. ونلاحظ أن الطلاب يحاطون زملائهم الرجال بلقب دكتور (Dr.) أو أستاذ (Professor) بنفسية وبساطة.

وشرح للطلاب عدم راحتنا - نحن الأكاديميات - للتعريف علينا من خلال الحالة الاجتماعية فقط، وفي السياق الأكاديمي، يتعين التعريف بنا من خلال هويتنا الأكاديمية وإجازتنا العلمي¹.

إن سبب هذه الرتبة للجنسين يكمن في الأنماط الثقافية السائدة، لبتاعم منح اللقب للذكر والأنثى مع الحالة الثقافية داخل المجتمع، لذا يكون منح اللقب تحديداً لدور الإنسان في مناسبات الحياة، ويرتبط بالدور الثقافي الذي يقوم به.

السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين:

اللغة ليست نظاماً من العلامات وحسب -وفق تعريف سوسير-، أو صرياً من السلوك كما رأى بلومفيلد، فهناك أنظمة سلوكية غير لغوية Non-Verbal Behaviour ترافق الأداء اللغوي وتحظى بدور الدعم والمساندة للأداء، نحو: التعبير الجسدي، والتقارب، واللمس ...

وتتضافر هذه المكونات في تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، ويتفاوت هؤلاء في استخدام هذا السلوك، فيكثر بعض الأفراد من الحركات والإيماءات في أثناء حديثه؛ لما تتطوي عليه من دلالات داعمة للغة، بل ربما كانت في بعض المواقف بديلاً من السلوك اللغوي.

رَوَى عن عمر بن الخطاب أنه جاء ابنته حفصة ليسألها عن أمر حربه، فقال: إني أسألك عن أمر أهمني، فأفرجيه عني: هي كم تشناق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحييت، فقال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر¹.

وقد فطن الجاحظ إلى دور الإشارات الجسمية في تعضيد الكلام بقوله:
والإشارة واللفظ شريكان، ونعمّ العون هي له، ونعمّ الترجمان، هي عنه، وما أكثر ما تنوب هي عنه، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعمّنة حاصرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا البتة².

وفي بعض الحالات يكون الكلام محظوراً، فيلجأ الأفراد إلى لغة لتواصل غير الإشارة فهي أستراليا لا يُسمح للأرملة التي نعت زوجها حديثاً باستعمال الكلمات، وكما لا يُسمح للشيء نفسه للشباب المعبّين على مرحلة الرجولة وحتى الأمم المتحضرة لم تنقص عن نفسها مثل هذه المحرمات

¹ ابن عساقم القتيبي: كبر القليل، 5/16.

² الجاحظ: البيان والبيان، 78:1.

الكلامية. يُذكر أن بعض القسس المسيحيين لم يَنبَسُوا ببيت شقة لسنوات عديدة، فتحدثوا بلغة الإشارة؛ لأن الكلمة للمنطوقة كانت خطيئة¹.

ونلاحظ أن المرأة أكثر استخداماً للإشارات غير الكلامية، وهي أعمق فهماً لكيفية مراميها، وتوخيها في الموقف اللعوي.

جاء في رسائل ابن حزم: "ما رأيت قطُ امرأة في مكان تحسن أن رجلاً يراها أو يسمع حشمتها إلا وأحدثت حركة فاصلة كانت بمقرن، وأنت بكلام رائد هي عنه في غيبة"².

فالمرأة تميل إلى المفاتيح غير الكلامية، كحركات الوجه والجسم، لإشاعة التوافق والتناغم في خطابها، وبالتالي الوصول إلى التأثير والتصامم.

- تضرب المرأة بكفها على صدرها إذا تعرضت لحدث فيه إنكار أو استغراب، وإذا كان الحدث أكثر دهشة وارتباطاً بها فإنها تصلُّ وجهها عوصاً عن السلوك اللطفي، أو مساندة له، وقد حفظ تراثنا بعض هذه الإشارات، من ذلك قول الشاعر:

تقول وقد نقت صدرها بيمينها أبلي هذا بالرحى المتعاص³

- تبسم الإناث أكثر من الذكور - غالباً -، وهر لا يفتن أفواههن على نحو ما يفعل الذكور، بل يضعن أصابعهن على شفاههن حياءً، ويضحكن دون قهقهة؛ لأن المجتمع يعذُّ ضحك المرأة في بعض المواقف من سوء الأدب، لذا يتعشَّن على الأنثى أن تكتفي بالابتسام.

¹ كوندرا توف السور والشارد ب لغو، يوحنا، ص 12-13.

² ابن حزم و رسائل ابن حزم، د إسماعيل عيسى، ص 271.

³ ابن جني المتعاص 246/1.

تُعبر المرأة عن موقف الحيرة أو التوتر بوصف أنملها على أسنانها
الأمامية مع إبقاء الفم مفتوحاً، أما الرجل فيعبر عن ذلك بحكة الرأس
أو الذقن أو الجبهة.

- يُعبر الرجل بهز كتفيه عن الرفض، وقد تشير بهما المرأة بكلام.
- النساء يملن رؤوسهن للتعبير عن العياء أو الخضوع، وهن أكثر سوية
في مشيتهن. فحالة الدعة والسكينة تقتضي مشياً معتدلاً، والأمر الجلس
يتطلب مشياً سريعاً، أما المشي البطيء مع إصدار حركات أو إطالة
للنظر فيما حولهن فإنه يلمح إلى دلالة إغرائية، أو لفت الأنظار.

فسر أبو حيان الآية (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من ربهن) الدور 31
بقوله: " كانت المرأة تصرب الأرض برجلها ليعلم خلقها ما يعلم أنها ذات
خلق. وسماع صوت هذه الرينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها".¹

- الإناث ينعمن في بعضهن أكثر مما يفعل الذكور، الذين يفصلون تكرار
النظر على إطلالته، ويلاحظ في اللقاءات العامة أن المرأة تنظر إلى
روجها أكثر مما ينظر إليها.

- للمرأة قدرة على توطيف لغة العيون، فليها مهارة في بث رسائلها من
خلال موافد الروح (العيون)، لذا قيل "رُبُّ لَحْظٍ أَنَّمْ مِنْ لَفْظٍ".

- يميل الرجل إلى رفع الكف صوب الرأس لإلقاء النحية، فيميل
المرأة إلى هز الرأس للتعبير عن الموقف أو الاستجابة له.

- المرأة تقترب من المنطقة الشخصية لجليستها، وهي أكثر ملامسة لها،
ولعل ذلك يوحى إلى التوحد والمودة، فتمة صلة بين الاقتراب واللمس

¹ أبو حيان، الأندلس، ص 249.

لما الرجل فيفصل إبقاء مسافة بينه وبين محتته (وهي المنطقة الآمنة)،
وقلما يوطّف اللّمس في عملية التواصل والتسجيل.

يرى آلن بير (Allen Yarr) "أنّ قّلّ للقدم محصور بالنساء، إنّ أعلى
رجل يُفعل للرجل الأخرى لتحرير موقف دفاعي، وحين تظهر هذه الإيماءة
يمكنك أن تتأكد أن تلك المرأة قد أصبحت منزعجة أو أنها لتسلّت مثل السلحفاة
إلى صدفتها.

إنّ هذا الوضع شائع بين النساء للخجولات أو اللواني بشعر
بالجين".

أرى أن المرأة تعنّدر في صميمها هذا عن تطّبع اجتماعي وجهها إلى
المحافظة والالتزام وعدم الابتدال، فالبنت تُربّى منذ الصغر على ضم قدميها،
وعدم الاندفاع كأولاد، لأنّ ذلك في عُرّف الثقافة عيب.

قاربت الكاتبة (مي جبران) هذه الحالة بقولها:

" تُربّى البنت على كبج الجسد (لفعدي منيح، وطّي التورة، ما تلعي
مثل الصبيان، وطّي صوتك، لسمعي الكلمة، لا تقولي كلاماً بذيلاً) فهي
تربية العيب، فيما يُربّى لصبي بارتياح أكثر (معلّش هو صبي، لتركبه يقعد
مثل ما يشاء) تُربّى البنت لالا، وهو بالنعم ..⁸³.

- تُعبّر المرأة عن حركات وجهها بصورة أعمق دلالة، لتحقيق الصداقة
والفرح وبثّ الهدوء في نفس المستمع.

لاحظت (هيلي) "أنّ للنساء لديهم القدرة على قراءة الإشارات غير
اشعورية سواء كانت صاندة عن ذكر أو أنثى، وربما يعود المصيب إلى أنّ

المرأة لغة الجسد بـ محرشيعاني: ص 83.

"مي جبران، الشخصية الأنيوية، مجلة مواقف، ع 73-74، 1994، ص 143.

السلوك غير المشفوي يحظى بدور مهم في حياة النساء، فهن أكثر حساسية للتلميحات غير المشفوية من الرجال¹.

وقد قام علماء في جامعة نيويورك ستيت (New York State) في الولايات المتحدة بإجراء تجارب على سبعة عشر ولداً وثمانى عشر بنتاً وانتهت للدراسة إلى أن الفتيات يملكن مقدرة التعرف على أدق التعبيرات التي تطرأ على الوجه أكثر من الأولاد².

ولعل هذا الفئض من السلوك غير اللفظي لدى المرأة يرجع إلى طبيعة التركيبة الاجتماعية التي فرصت على المرأة نفساً محدداً، ودوراً ثابتاً من المفترض الالتزام به، لذا تلجأ المرأة إلى السلوك غير اللفظي؛ لبناء عالم رمزي تمارس فيه البوح عبر جسدها ما دام بعض الكلام محظوراً.

"قاللة بالحركة يمكن أن يكون لها أصل نفسي، ومع ذلك فكون استعمالها عند الشعوب المتوحشة من شأن النساء على وجه الخصوص يوحي بتفسير آخر، ذلك أن السبب الذي يدعو عادة إلى التفريق في اللغة بين الجنسين يكون سبباً قديماً، فلما كانت الكلمات التي يستعملها الرجال محظورة على النساء، فقد وجب على هؤلاء أن يستعملن مفردات خاصة بخلفتها بأنفسهن حتى لو اضطررن عند الحاجة إلى إحلال الحركة محل الصوت، وهكذا يمكن أن يفسر استبقاء لغة الإشارة بالإنجاز الناشئ عن النواهي³.

¹ The Female World, p 385

² صحيفة الرأي الأردنية 2001/7/21، ص 24

³ تقرير النقد، ص 33

لا يقتصر توظيف المرأة السلوك غير اللفظي على المحظورات والنواهي، فهي تلحاً إليه في سلوكها اللفظي أيضاً؛ لإسباع غلظة من التأثير والتواصل على حبيبها.

نخلص من عرض الخصائص اللغوية للجسدين إلى أن السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي في حالة تفاعل دائم، فاللغة في جوهرها متصلة في حقيقة الثقافة، ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، ولا يمكن إحصاء اللغة إلا بالرجوع إلى المحيط الأوسع وهو الظروف التي يتخلق فيها الكلام. إن اتساع الشقة في الخصائص اللغوية للميزة للجسدين تتناسب تناسباً طردياً مع التواصل القائم بين الجسدين، فكما شاركت المرأة الرجل في صوغ الحياة وبناء المجتمع الرحب قلت الاختلافات بين الذكر والأنثى، وكما راد انعزال المرأة عن الرجل اتسعت الفروقات اللغوية للجسدين. ونلاحظ ذلك في لغة ربات البيوت ولغة النساء اللواتي يشاركن الرجل في العمل الوظيفي، إذ تكتنف لغة ربّات البيوت، استعمالات مابينة إلى حد ما للغة للنساء العاملات. فاللغة منظومة أودعها مرامس الكلام في الجمهور، وتتأثر بالمحيط الاجتماعي للأفراد والجماعات.

وعلى الرغم من تقريرنا أن ثمة خصائص لغوية ماثرة للجسدين، إلا أن هذه التنوعات اللغوية لا تعدو أن تكون ضرباً من الأساليب والتثوينات التي تتحلل لغة فئة من الناس أو طبقة منهم، فلا تُقيم هذه التنوعات اللغوية قطيعة بينها وبين اللغة للجامعة التي تميز لغة المجتمع من غيره.

الخلاصة:

صدرت هذه الدراسة عن وجهة ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الطواهر الاجتماعية، وهي تدخل في علاقة جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، إذ إنها نسق يشترك في اتباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون؛ لتحقيق غائية الاجتماع البشري.

ومستصفي ما خلصت إليه الدراسة من أنظار:

- أن الصلة بين اللغة والمجتمع متناظرة، ففي أحضان المجتمع تحلقت اللغة، وهي فخرتهم للتواصل فيما بينهم، وتتجاوز وظيفة التفكير المجرد، والتعبير عما يحتج في أقطار النفس، لتشمل استجابة المتلقين لها.

- احتفى اللغويون العرب بالسياق الذي تستعمل فيه اللغة، واستشعروا الوجهة الاجتماعية في معانيهم للطاهرة اللغوية، وإن لم يصرحوا بها تصريح اللسانيات الاجتماعية.

- استدركت اللسانيات الاجتماعية على علم اللغة الحديث إهماله للعوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة، وكل من يتعنى أن تُدرس المعطيات الاجتماعية للغة ضمن علم اللغة العام، لا أن يُفرد لها علم مستقل.

- إن استجلاء ماهية السلوك اللغوي لا يكون إلا بالعود إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي، إذ يتأثر هذا السلوك

- بطبيعة المتكلم، وطبقته الاجتماعية، وضعه، وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه، وشخصية السامع، وتكوينه الثقافي. إلى غير ذلك من معطيات تسهم في شكل السلوك المتَّجر.
- أُلْطِيفَ للدراسة على أنَّ الاختلاف بين الجنسين منبعثه قيم المجتمع ومسطورات الثقافة. وليس العوامل البيولوجية والبيولوجية، ويغضد ذلك ما أُجْري من بحوث ودراسات في السلوك اللغوي والاجتماعي للجنسين.
- لم ينتظم تصنيف الجنس في العربية منطق عقلي، ولا سيما الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس اللغوي، ولعل هذا ما أشكل على الباحثين لالتماس علة مطردة في التصنيف.
- ويترأى لي أنَّ اللغويين حين صنفوا الأشياء كان هاجسهم ضبط اللغة وإطرادها، لا أن يفضلوا جنساً على آخر، ولو أنهم أفردوا للمجازي من الأسماء فصلاً ثالثاً لتحلست الظاهرة من مشتجر الخلاف.
- ينبغي ألا نخلط بين العربية بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين تلك الظاهرة، فإذا كان هناك تميّز في بعض التعمّيات اللغوية مرّة ذلك إلى الثقافة وقيم المجتمع.
- إن اتساع الهوة في الخصائص اللغوية المائزة للجنسين يتناسب تناسباً طردياً مع التواصل والمشاركة، فكما حصرت المرأة في المشهد الحياتي إلى جانب الرجل قلّت الاختلافات اللغوية بينهما، وكما تفوّعت في حراسة الهيكل المنزلي، وتوارت عن المشهد رادت الاختلافات بين الجنسين وتعتقت.

على الرغم من إقرارنا بالخصائص اللغوية للجنسين، إلا أن هذه التنوعات لا تمنع أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتحلل لغة فئة من الناس، أو طبقة منهم.

تقتضي الرمالة المفترضة بين الجنسين، تعديل القيم الثقافية والاجتماعية ليركّل الجنسان بالمساواة، ويفصي ذلك إلى تعبير التمثيلات اللغوية، فهذه التحققات مرهوبة بموروثات الثقافة التي انحازت للذكور. وليس للغة نصيب من التحيز، فاللغة في جيلتها محايدة، وهي تملك طاقات كامنة لتفني عن نفسها الانحياز، لكن ذلك مشروط بمن يستعمل الخطاب.

الملاحق

**تقاسم الصفات المحدودة والمذمومة
بين الجنسين**

ملحق بالصفات المحسوسة والمنمومة للجنسين استأثرت من جملة من

معجمات المعنى.

صفات سلبية ملحق بالمرأة:

الصفة	المفردة	
* الحق	امرأة رقاع	حمقاء
	حذعل	حمقاء
	دفس	حمقاء
	دنفس	حمقاء
	لكاع	للحمقاء الدبيئة ينظر: الأسمي: ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه، ص 3.
	وزهاء	
	دعفاء	حمقاء
	جئفاء	* ثقل التي انكر عقلها، ولا يقل للرجل
	ثأطاء	حمقاء
	لكعاء	
	عوكل	حمقاء
	بنغوس	حمقاء
	خزنيل	حمقاء - شخص 16/61، 16/151، 16/165، 16/169
* الفجور	امرأة جلع	فاحشة
	مجعة	التي تكلم بالفص
	بيئة	ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه، ص 45.
	المتفع	الجريئة البيئة

اللفظ	البديهة
الجلاءة	التي تكلم بالفض
للمجاعة	تتكلم بالفض
الترعة	الفاضة الخفية
	ابن السكيت. كتاب الألفاظ ص 244.
طلعة	المرأة للفاضة
قبة	بديهة
فرور	لا ترد يد لامس، وتقر لما يصنع بها
موسمة	
بغى	
مناجحة	
مقاص	بلغت في السوء غايته
ربغى	إذا كانت نهاية في سوء الخلق.
	فقه اللغة، ص 170
عاهر	
مجالع	خلعت خمارها تبرجاً
فجول	بغى
فلوك	بغى
صنم	
عجن	ماجنة
رغل	متساقطة
عنفس	الدائرة للخبث

فاحرة	حَرْب	
	حريفة	
قليلة الحياء	فَرَّتْ	
تلازم الرجال	زِيدَ	
	سَلَفَ	
اسم للفاحرة	فَرَّتِي	
ذات الريبة والفحش	خَطَّالَة	
صلابة الوجه	وَقَّاح	
	فَدَعَ	
الفاحرة تظهر سرها لكل واحد. المخصص: 167 161، 142، 134، 124/16	هَبَّعَ	
رديئة الحيز	خَطَّاب	
	الدُّلَّة	
- للقاموس المحيط "نَج"، "فحش" فحش	فَحَّاشَة	
	صفات خُفَّة وسنوية مضمومة	
لا تطيع زوجها	نَشُوس	
- ما اختلفت لفظه ص 49.		
ضَحَلَكَة	هَامَاد	
المخصص 14 16		
	وَرَّهَاء	

هتباء	فيها طيش
المخصص 16/6	
مهللق	كثيرة الصبحك
مبناص	كثيرة الضحك
مكثير	كثيرة الكلام
طلوم	طالمة
المخصص 16/135 137	
علوق	لا تحب زوجها
رؤود	تدخل بيوت الجيران
المخصص 16/142	
دغور	تدعر من كل شيء
بطرير	طويلة اللسان سخابة
المخصص 16/168	
جماد	مفسكة
رواد	طوافة في بيوت جاراتها
عفر	لا تهدي لأحد شيئاً
فرج	لا تكتم سرّاً
جندل	غليلة الخلق
فيلق	داهية سخابة
ضيش	كثيرة الحركة
جتمرش	سمجة مكروعة
خشق	رعشاء

غليظة	ضغور	
خداعة	حلوب	
المخصص 142/16		
صخابة	صنبلق	
المخصص 169/16		
	شفايق	
غالبية بالمر سلبية	عنفور	
لا تستقر نزقاً	عنه	
	عنه	
إذا زادت سلاطتها	سلقانة	
فقه اللغة 169		
العينة الخلق	عقانة	
	صدوف	
* ينظر القاموس المحيط في جنود المفردات		
مفتحة الريح	لخاء	صفات جسمية مذمومة
لم يكن على فخديها لحم	منصواء	
إذا كانت نهاية في السنس والعظم	قيمة	
إذا كانت كثيرة مضطربة الخلق	عركرة	
مضطربة الخلق	عضكة	
قبيحة	رُسحاء	
صغيرة للتكوين	جذاء	

قليلة اللحم.	قفرة
غليظة الخلق	جانبية
لم يكن على ذراعها لحم	منقأ
لم تكن لها عجيزة	زلاء
طويلة الثديين مسترخيتهما	طرطنة
قصيرة دميمة	قنصة
ضخمة البطن	مفاضة
* ينظر. فقه اللغة ص 169	
سمية	حتواء
المفصص 53/16 - 161	
غليظة الخلق	عكباء
قبيحة للوجه	خماء
مسترخية	خوتاء
قبيحة	سواء
لها أسنان زائدة	نعلاء
عظيمة للعجز	نوصاء
قبيحة المشية	قنماء
لا لحم على يديها	قنشاء
العظيمة للوجنات	وجناء
قصيرة	نكوع
قصيرة، سيئة المشي	نزوم
لا تكاد تبتن من الهرال	خفوت

بها عيب في حسنها	نصوص
منعومة	ديميم
منعنة	نصف
خبيثة النفس	فرت
مكتثرة ضخمة	جنتج
مسترحية الجفون ولحم الوجه	خنطو
ضخمة للبطن مسترحية اللحم	ضمعج
فانية	دلطم
قصيرة	علكد
ديمية	جليج
هرمة	حجرط، هأدم، ونلفم
فيها هوح واسترحاء	هرمل
ضخمة ثقيلة	قرضم
كبيرة سمجة	هرشاح
ضخمة	مهناس
عجور كبيرة	هرشب
	هرشعة
قصيرة	حنح
قصيرة	بهر
بنظر. المخصص 162/16 - 169، 183	نهتر
قبيحة غير منسوقة	شوها

طويلة مع دقة في المدن	مقاه	
ضخمة الخاصرين	خرتاء	
دقيقة عظام اليبين والرجلين عش	عشة	
حافية الخلقة	عكزة	
لم تدم أعصاها التناسلية	ضهنا	
أحد ثديها أكبر من الآخر	حصون	
هرلت بعد سمن	متخرخرة	
واسعة العم	قوها	
مسترخية أسفل البطن	سول	
ينظر: القاموس المحيط		
		صفات نفسية وخلقية معصودة
منحبة لزوجها	عروب	
كتاب الألفاظ 238		
منحبة لزوجها	عاشق	
خصان	حاجن	
المخصص 122/16 126		
نقية	طاهرة	
لا تمنع زوجها مالها	باهر	
حيبة	خرود،	
المخصص 142/16	خريد	
لها شرف تتزوج طمعا في ولدها	ظنون	
كتاب الألفاظ، ص 238		

رزل	تقال، التّقال
حصنة الخلق	خلق
دلول مطواع	عطيف
المخصص 157/16	
حبة	مبتير
المخصص 158/16	
مطواع، منقادة	مدعان
القاموس المحيط	
المتحفظة التي تنفر من الرّبة	تول
ررينة في مجلسها	رزل
صينة	حفرة
فقه اللغة 167	
محفصة الصوت	رخيمة
جليلة تطهر للناس	برزة
فقه اللغة 168	
من العطية	مغطاء
من الهدية	مهداء
مصونة، محجوبة	مقصورة
الطريقة	الليقة، الليقة
ينظر : القاموس المحيط	
المخصص 135/16	معاج
صناعة	صناع
151/16	

مرفال	تَحْرُ ثوبها ثَقَّة	135/6
زائن	مُتَجَمِّلَة، مَتَرِيكَة	
طَرُوح	تَطْرَح ثوبها ثَقَّة	
142/6		
صفات جسدية	للناعمة. النارَة البش	
محمودة	المفصص 7/16	
مِنْهَاج	بَيِّنَة للبهجة	
	المفصص 35/16	
بضائض	كثيرة للحم	
	المفصص 151/16	
فريع	ناعمة	
	57/16	
بخت	حالصة البياض	
فق	عطيمة حساء.	
	يلظر. المفصص 162/16-170	
غيثم	حساء	
غَيَطَل	طويلة العنق في حس	
شرواط	طويلة متندبة	
امتود	ناعمة	
عُظْمُوس	نارَة ذات قولم	
شَغْمُوم	نلمة حسنة	
رُجُوب	نارَة، وقيل بياض حسنة	

كبيره للتدبير	ختصر
تلمة معتلة	حليق وحليفة
بيئة للنهاء	بهية
ينظر: القاموس المحيط	
ذات جمال رائق	رؤفة
حصنة القوام	ممشوقة
الطويلة	المشردوف
الطويلة الجميلة	الستهة
الطويلة الحسة الحلق	سرحية
حصنة الشعر	فرأء، غراء
ذات شعر طويل	قنينة
الناعمة	الرخصة
الحسة	لها رأء
البيبة العيد ، الناعمة للبية	العادة
رفيفة البشرة	عنهرة
المشرقة لوجه	الرغراء
المتلئة الناعمة، الحسة الحلق	المطحة
الشابة الرخصة	للحود
القليلة للحسة	الرئدة
بيئة الشباب تهتر في مشينها	أملود

ناضرة ونصرة ونضيرة	بيئة للخص مع النعمة
مرتجة	طويلة، حسنة الجسم
شدياء	بيئة الشذب، وهوما ورفعة تجري على النفر
المارية	البيضاء
الهركلة، والهركلة، والهركولة	الحسنة للجسم والمشية
نحسانة	طيبة للنفس والريح
الهركة	الناعمة النامة
خلاقة	حسن خلقها
روقاء	ذات جمال رائق
الدمحلة	الحسنة الخلق
الشباط	الحسنة اللحم واللون
اليهس	الحسنة المشية
البهكة	ناعمة الجسم اللينة
تميمة	تامة الخلق وثيقة
رنيلة	سنية
رتجلة	سنية منعمة
الوهلثة	اللينة، لينة اللحم ناعمة
البرهرة	للناعمة، كثيرة اللحم
أثالة	الطويلة

شمع	حسنة الخلق
السراج	الحسنة المشية
مكورة	دقيقة المحاسن
خرعية	حسنة القد، لينة القصب
قواء، خمسة، هيقاء	لطيفة البطن
هصيم	لطيفة للكشحين
عطبول	طويلة العنق
مرمرة	ترتج من سمها
عبرة	عظيمة الخلق مع الجمال
رصفوف	إذا كانت طيبة للخلوة
لقاء	ضاق ملتقى فغديها لكثرة اللحم ينظر فقه اللفظة 166-167
حسنة	جميلة للجسم * ينظر: ما اختلفت ألفظته .. ص 49

صفات مذكومة للرجل

الصفة	المفردة	الحمق
	حطيطي	يُحَيَّرُ به الرجل إذا سب إلى الحمق
	عيلياء	الأحمق القدم
	الطليقاء	الأحمق
	طينة، ولطخة	أحمق لا خير فيه
	بؤهة	أحمق
	خالفة	فيه حق
	مناخة وفجاعة	أحمق
	زُميلة	أحمق ضعيف
	إمزة، وإمع	أحمق لا رأي له
	صوكة	أحمق كثير اللحم مع ثقل
	حجاجة فقاقة	أحمق
	مناجاة	أحمق مائق
	ساقط	ناقص العقل
	أمية	يتق بكل واحد جهلاً
	لُفاعة	* ينظر - المخصص 170/16 - 176 . 183
	أبكه	إذا كل به أثنى حمق وأهونه

أخرق	الحمق مع عدم الرفق
أهوج	الحمق مع تسرع
مأهوز	لم يكن له رأي يرجع إليه
يهووف	من راد حمقه
حنقح وهبقح	اشتد حمقه
عفك لوك	إذا كان مشبعاً حمقاً يُنظر: فقه اللغة من 155 - 156.
الفجور	
ذعرة	
جولطة	
طعانية	
عاهر	
بطف	
فاحشر فحاشر	يُنظر: القاموس المحيط
الجبن	
نلأ، نلأة	صعيف، عاجز، جبان
هولاء	جبان
فروقة	
كيتة، كيء	جبان
فرورة	
نفرجه	يتكشف عن الحرب

ضعيف رخو جبان	رَمَل ورَميلة	
ضخم جبان	رَمَل وهراب وهرنة	
يفرق من كل شيء المخصص 18/16، 72، 139، 170، 176	فروق وفروق وفارقة	
	جبان	
في نهاية الجبس	فشل	
ضعيف القلب	فل	
	هباب	
جبان	رعيد	
	حوار	
	خرع	
مخلوع القلب ينظر: إبراهيم البلاجي: المتكاتف والمتولد. 85/1	منخوب	
		البخل
إذا كان في نهاية البخل	حاز	
شديد البخل	لحز	
فقه اللغة 151		
إذا كان مع شدة بخله حرصاً	شحيح	
	لثيم	

صنّين	إذا كان شديد الإمساك لماله
جعد	
مُسكّه	
ضيق	
كز	مَمْسِك
حصنر	المترايب والمتولّد 81/1
صفات مذمومة أخرى	وعقاً لَعَقَة عسر لَحْلُق
عزّة	لا يُطلق
بومة	خامل
رَهْء	لا حبر فيه
خولة	محتال
فراة	يهزأ بالناس
سُفْرَة	يسخر بهم
خذلة	يخدلهم
كذبة	يكذبهم
صنجة	كثير الاصطجاج
غصبة	مريع للفضب
مزقة	ضيق للرأي
صخابة	شديد الصخب
فراة	يفزع للناس كثيراً
أكالة	كثير الأكل

كثير الكلام، متداه	لُقاعة
يبرم بالناس يُنظر: المخصص 170/6 174	فانورة
يبدّر ماله ويفسده	تبدارة
كثير السب	مسيّة
كثير الكلام	هؤذرة بؤذرة
شديد الطلب	علاقة
كثير للعود	قعدية
كثير الاضجاع	ضجعة
يتسخط عند الطعام من سوء خلقه المخصص 174/16-177	جسامة
خفيف	سندلوة وقدأوة
القلموس المحيط: الجور الألفة	بلدامة
وخم	ضرسامة
رخو لثيم	زمن
سوء الخلق	ورمحة
فو تعويق	عوق غوكة
المخصص 174/16-180	
إذا لم يكن له قوة بالأمر	نطيش
ليس له رأي	حبض
لم يكن له قوة بالأمر	بثم

لم يكن له قوة بالأمر القليل المنفعة	فتم ووخ	
ينظر ما لحقت لفظة وقعت مكانه من 50 - 67	هناجة	صفات جديدة
صغير الحثة قليل	رحل قفة	مدمومة
*المحمص 170/16		
قصير	جدة	
171/16		
قصير	دأمة	
173/16	ودأمة	
قصير	جندرة	
175/16		
سمين مندل البطن قصير	بحورة	
175/16		
كثير اللحم - قصير لذيم الخلفة	درحاية	
175/16		
قصير لقيم	جفظاية	
175/16		
غليظ إلى القصير	حرابة	
175/16		
وحم	بلدانة	
176/16		
قصير	ححنارة	
176/16		
قصير	تبلى	

تشبالة	قَصِير
تَحْدَلَحَة	للمفصصين 182/16
تَبَّة	قَصِير
خَرْق	قَصِير
جَدَم	قَصِير
جَدْمَة	
جَعْفَلَر	
جَعْفَلَرَة	
أَصْتَل	صغير الرأس
	فقه للغة 156
سَمْفَع	صغير الرأس
أَشْدَق	إذا كان فيه جوج
	فقه للغة 156
أَكْشَم	نقص الحلق
أَخْفَج	موج القد
أَنَّن	منحني الظهر
أَعْتَب	خرج ظهره ودخل صدره
	فقه للغة 156
أَلَصَّ	إذا كان مجتمع للمكبيين يكادان يمسسان أُنديه
أَجْنَأ، أُنْجَأ	إذا كان في رقبته ومكبيه فكباب إلى صدره
أَعْن	إذا كان يتكلم من قبل خيشومه

إذا كان متقاعد ما بين العديين والعديين فقه النعمة 56	فحج، فحج
فحيح العرج فقه النعمة 196	أقول
قصير دميم ما اختلفت ألفاظه وافقت معانيه من 34	دعوب
إذا كان قصيراً غليظاً	هيفر
إذا كان قصيراً غليظاً	كلكل
قصير غليظ صحم البطن	كلاكل
إذا كان قصيراً	حقيتا
إذا كان قصيراً سمياً	حقيسا
القصير السمين	بجتاح
إذا كان قصيراً ثم اضطرب لحمه.	وخواح
القصير الغليظ	جفشوش
القصير الدميم	حزرق
ما اختلفت ألفاظه من 44	

صفات محمودة للرجل

وريت صفات كثيرة في كتب اللغة، أسوق جملة منها:

الصفة	المفردة	
السيادة	الخلاص	السيد الشجاع
	الهيام	السيد البعيد الهمه
	التمقام	السيد الجواد
	الغضرب	السيد الكريم
	الصنديد	السيد الشريف
	الأروع	السيد الذي نه جسم وجهاره
	الكوثر	السيد الكثير الخير
		فقه اللغة 163-164
	النهلول	السيد الحسن البشير
	عينة	خير قومه
	بابخة	عظيم الشأن صبح الأمر
	صنابة	أي خيلهم
		المعجم 16/70، 73.
رجاحة العقل		
	طينة	عالم بكل شيء
	لوذعي	جيد الحس
	المعي	إذا كان ذكياً موقفاً مصيب الرأي
		هه اللغة 164
	ذكي	

	مطين	
	فهم	
مطين صناديق الاحتس	ركن	
المترادف والمترادف 104/1		
	الشجاعة	
شجاع	صبة	
شجاع لا يترى كيف يوتى له	بهمة	
شجاع	واقعة	
المخصص 183-174/16		
شديد ضخم شجاع	مراصة	
الجريء على الأعداء	ضبارم	
	ضبارمة	
	حمس	
	صلارم	
	بحيد	
	دمر	
	بئيس	
	مقدام	
	بطل	
	فئالة	
المترادف والمترادف 84-83/1	مصنّام	
	الكرم	
	كركلة	

للكريم الجواد	الغيدلق	
فقہ النعة 164		
الذي يرتاح للندى	الأريحي	
الكثير العطية	الخصرم	
بلغ النهارية في الكرم	الأفق	
	سغي	
	سجل	
	وهوب	
	بذول	
	فتاح	
المتراشف والمتوارد 77،	معطاء	
		صفات أخرى
صبور على الشراب وغيره	كؤصة	
طريق منجب	رؤمة	
جيد القول	رجل تقولة	
جيد الكلام فصيح	تكلامة	
المعصر 170/16 174		
طيب النفس صحوك	فكه	
إذا كان سهلاً ليلاً	ذقنم	
إذا كان طريقاً كرياً	يزيم	
إذا كان حاداً	عفري	
إذا كان حركاً طريقاً	زول	
فقہ النعة 165		

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

بالعربية

- القرآن الكريم.
- لكتاب المقدم.
- أبو ريشة (زليخة): اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عتلى، 1996م.
- أبو زيد (محمود): اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب، مصر (د. ت).
- أبو زيد (نصر حامد): دوائر الحرف، قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الرباط ط2، 2000م.
- أبو غزالة (الهلم): الإبداع، اللغة، والمرأة، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ط1، 1998م.
- الأختن (سعيد بن مسعدة): معاني القرآن، تحقيق: فلتر فارس، ط2، 1981م.
- الأصمعي (عبد الملك بن قريب): ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م.
- الأعرجي (نزيك): صوت الأنثى، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1997م.
- الأنباري (أبو البركات): البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1970م.

- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم): الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم الصلح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
- _____: المنكر والمؤيد، تحقيق: طارق الحسني، مطبعة العاني، بغداد، 1978م.
- قيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1979م.
- _____: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1992م.
- _____: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
- الباقلائي (محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، للقاهرة، 1954م.
- بشر (كمال): علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط3، 1997م.
- البطلوسي (أبو السيد): الحال في إصلاح الحال، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- _____: شرح المختار من لروميات أبي العلاء، تحقيق: حامد عبد المجيد.
- البغدادي (عبد القادر بن عمر): خزانة الأئمة، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الحانجي، القاهرة، ط3، 1989م.

- البكري (عبد الله بن عبد العزيز): فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد علندي، دار الأمانة، ودار الفكر، بيروت، ط3، 1983م.
- ابن التستري (مسعود بن إبراهيم): للمذكر والمؤيد، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الختجي، القاهرة، ط3، 1983م.
- أبو تمام (حبيب بن أوس): ديوان أبي تمام، بشرح الحطيب التبريري، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، القاهرة، 1964م.
- التوحيدي (أبو حيان): الإمتاع والمؤانسة، صححه وصيغته: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت.).
- الثعالبي (أبو منصور): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، دار الفكر، بيروت، (د.ت.).
- الجاحظ (عمر بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت.).
- _____: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م.
- _____: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- الجمحي (محمد بن سلام): طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952م.
- ابن جني (أبو الفتح): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990م.

- ابن جني (أبو الفتح): سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م.
- _____: اللمع في العربية، تحقيق: حسن محمد أحمد شرف، عالم للكتب، بيروت، ط1، 1979م.
- الجوهري (إسماعيل بن محمد): الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار للكتاب العربي، القاهرة، 1956م.
- ابن حزم (علي بن أحمد الأندلسي): رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1985.
- _____: طوق الحمامة، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، (د.ت.)
- هسان (تمام): مناهج البحث في اللغة، دار للثقافة، الدار البيضاء، 1986م.
- حسن (عبدل): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط1976، 6.
- الحفني (عبد المنعم): الموسوعة النفسية واللغوية، مكتبة مندولي، القاهرة، ط1، 1992م.
- أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف): البحر المحيط، بشرته بالأوصت مطبعة للنصر الحديثة، الرياض، 1970م.
- خرما (نايف): أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم للمعرفة، ج9، الكويت، 1978م.
- خلف الله (محمد أحمد): الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1972م.

- الخولي (محمد علي): معجم علم اللغة للنظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1981م.
- ابن رشد (أبو محمد بن أحمد): تلخيص للحطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، للقاهرة، 1960م.
- الرويلي (ميجل)/سعد البارعي: دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- الزبيدي (أبو بكر): الواضح في علم العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الأردنية، (د.ت).
- الزبيدي (محمد مرتضى): تاج للعروس من جواهر اللاموس، تحقيق عبد المنار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.
- الزجاج (إبراهيم بن المبري): ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة. نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ط1، 1971م.
- الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحق): الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مكتبة الرسالة، بيروت، ط4، 1988م.
- الزمخشري (حار الله محمود بن عمر): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1974م.
- _____: المفصل في علم العربية، راجعه: محمد عز الدين السعدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990م.
- زهير بن أبي سلمى (ليونان): صنعة أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار للكتب، 1944م.

- زبدة (مي): الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق: سلمى الكريري، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1982م.
- السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد): المذكر والمؤنت، تحقيق عزة حسن، دار للشرق العربي، بيروت، حلب، ط1، 1997م.
- ابن السراج (أبو بكر): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- السعدلوي (توال): الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- ابن السكيت (يعقوب بن إسحق): كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباله، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1998م.
- ابن سلمة (المفضل): مختصر المذكر والمؤنت، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1972م.
- ابن سيده (علي بن إسماعيل): المحصن، دار إحياء التراث، بيروت (د.ت).
- السيوطي (جلال الدين): الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- _____: لزمهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد جلد المولى وزملاء، دار الجبل، بيروت (د.ت).
- الشوكلي (محمد بن علي): الفرق للمجموعة في الأحاديث الموضوعية، تحقيق عبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

- الشوك (علي): جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة دمشق، ط1، 1994م.
- الشيباني (محمد بن علي): تمثال الأمثال، تحقيق نعد ديبيل، دار للمعرفة، ط1، 1982م.
- الصيمري (عبد الله بن علي): التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي عجم الدين، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1982م.
- ابن طباطبا (محمد بن أحمد): عيار الشعر، تحقيق محمد رغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1991م.
- الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان في أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، 1984م.
- طرايشي (جورج): رمزية المرأة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1985م.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1983م.
- عزيمة (محمد عبد الخالق): دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، (د. ت.).
- عفيفي (عبد الفتاح): علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- العلوي (هادي): فصول في المراقبة، دار الكتور الأدبية، بيروت، ط1، 1996م.

- عميرة، (إسماعيل): ظاهرة التأنيث بين اللغة للعربية واللغة السامية، مركز الكتاب العلمي، عمان، 1986م.
- عمر (أحمد مختار): للغة واختلاف الحنسيين، عالم للكتب، القاهرة، ط1، 1996م.
- عبد الله الغدامي: تأنيث القصيدة والقرآن المختلف، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999م.
- _____: ثقافة الوهم، المركز الثقافي، الرباط، ط1، 1998م.
- _____: للمرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1996م.
- لفراء (يحيى بن زياد): المدكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ط1، 1975م.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العلي، بغداد (د. ت).
- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): عيون الأخبار، شرحه يوسف طویل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- القرطبي (محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.

- القفطي (علي بن يوسف): إنباء الرواة على أنباء السقاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1981م.
- ابن كثير (أبو القداء المثنقي): تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1966م.
- لفظي (مصطفى): اللغة في إطلرها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1976م.
- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله): شرح عمدة الحافظ وعدة الالاف، تحقيق عدنان النوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المذكر والمؤثر، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب، القاهرة، 1970م.
- _____: المفتضب، تحقيق: محمد عبد الحالق عضيمة، عالم للكتب، القاهرة (د. ت).
- مجمع اللغة العربية (قاهرة): في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1969م.
- محمود (إبراهيم): الحسن في القرآن، ريلس الريس للنشر، لندن، ط2، 1998م.
- المرزوقي (أحمد بن محمد): شرح ديوان الحماسة، بشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.
- مستغني (أحلام): ذكرة الصمد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999م.

- مسكويه، وأبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد منقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1951م.
- مصلوح (سعد): دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
- ابن مكي (الصقلي): تنقيح اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م.
- منا (يعقوب لوجين): الأصول الجلية في نحو اللغة الأرامية، منشورات مركز بابل، بيروت، 1975م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت (د. ت.).
- مهنا (عبد): معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد): مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو العصل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.
- النفزاوي: أرواح العاطر في نزهة الخاطر، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للنشر، لندن، 1990م.
- نهر (هادي): السلفيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، بيروت، 1998.
- هرمز (صباح حنا): الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1987م.

- الهندي (ابن حاتم الدين): كنز العمال، دار التراث، دمشق، 1976م.
- والي (علي عبد الواحد): علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م.
- _____: اللغة في المجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1971م.
- ابن وهب (أبو الحسن إسحق بن إبراهيم): البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وحديقة الحديث، جامعة بغداد، ط1، 1967م.
- الهارجي (إبراهيم): مجلة للرائد وشرعة الولد في المترادف والمتوارد، ضبطه نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1985م.
- ابن يعيش (موفق الدين): شرح المعصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبى، القاهرة، (د. ت.).

الكتب المترجمة:

- آشور (بيار): سوسولوجية اللغة، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996م.
- برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد القواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.
- بريمو (ناتاليا بريمو): معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، 1981م.
- سلفن (رامان): النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، ط1، 1982م.
- سومور (فريدناند): علم اللغة العام، ترجمة يونيل عرير، بيت الموصل، ط2، 1988م.
- شوي (أورزولا): أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة بو علي ياسين، دار التنوير، بيروت، ط1، 1982م.
- غارمادي (جوليت): اللسان الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1990م.
- غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، 1982م.
- فليش (هنري): العربية الفصحى، ترجمة عبد الصبور شمين، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1966م.

- فنديس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدولخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
- فوكو (ميشيل): نظام الخطاب، ترجمة محمد سيلا، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984.
- كامبي: العشق للجسدي والمقدس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1992م.
- كوندراكوف: أصوات وإشارات، ترجمة ادور يوحنا، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، 1969م.
- لوكمان (لويس): علم اجتماع اللغة، ترجمة أبو بكر باقادر، النادي الأدبي للثقافة، جدة، ط1، 1987م.
- لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1961م.
- مجموعة كتاب: دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979م.
- مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المغزومي، ومالك المطليبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م.
- ميلر (سوزانا): سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى، عالم المعرفة، الكويت، ع 120، 1987م.

- هانسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عباد، مراجعة نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعيد الدين، عالم للكتب، القاهرة، 2019م.
- هيرسن (أوتو): اللغة بين الفرد والجماعة، ترجمة عبد الرحمن محمد، مكتبة نهضة مصر (د. ت).
- بير (ألن): لغة الجسد، ترجمة سمير شبحاني، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1986م.

الدوريات والمجلات:

- أفاية (محمد نور): المرأة والكتابة، مجلة الوحدة، بيروت، ع9، 1985م.
- التميمي (أمل): المرأة في ظلال الأدب، مجلة تايكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع6، 2001م.
- جبران (مي): الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، بيروت، ع73-74، 1994م.
- الخالد (كورنوليا): الكفاح للنسوي حتى الآن، مجلة الطريق، بيروت، ع2، نيسان، 1996م.
- شريدة (صالح مهدي): العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجتمع العلمي العراقي، م25، 1974م.
- طعمة (طلال): علم اللغة الاجتماعي أم الألسنية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع(7-8)، 1980م.
- قصاب (وليد): الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفصيل -- الرياض، ع97، نيسان، 1985م.
- المنلا (إبراهيم): النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، عمان، ع149، 2001م.
- الموسى (تهاد): نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، ع4، م1، 1985م.

- نور الدين (عصام): المحايد أو المنكر والمؤنت من غير الحيوان،
مجلة دراسات عربية، بيروت، ع (7-8)، 1988م.
- صحيفة الرأي: عمان، 2001/7/21م

المراجع بغير العربية:

- **Abd -El - Jawad (Hassan):** Social Functions of Language Variation, Al - Abhath -American University of Beirut, Vol. XXXIV 1986.
- **Adler, (Max):** Sex Differences in Human Speech. Humburg, 1978.
- **Allergro (John):** The Sacred Mushroom and the Cross. Hodder Stoughton, 1970.
- **Bernard (Jessie):** The Female World. New York, 1981.
- **Bloomfeild:** Language. London, 1962.
- **Brekwege (Lia):** Hesitancy in Female and Male Speech, (Women's Language), U.S.A, 1987.
- **Brouwer and Dorian:** Women's Language Socialization and Self-image. Foris Publications. U.S.A, 1987.
- **Cameron (Deborah):** Feminist and Linguistic Theory, London, Macmillan, 1985.
- _____ (ed): The Feminist Critique of Language. London, 1998.
- **Coates (Jennifer):** Women, Men and Language. London, 1986.
- **Dumézil:** Grammaire Comparee. Paris, 1960.

- **Fishman:** The Sociology of Language. New Bury House, 1972.
- **Gesenius:** Hebrew Grammar. Translated by, A.E. Cowley. Oxford University, 1910.
- **Gray (Louis):** An Introduction to Semitic Comparative Linguistics. Amsterdam, Philo Press, 1971.
- **Erigray (Luci):** Language Sexes and Gender (Women's Language), 1987.
- **Miller (Gasey):** Words and Women, Anchor Press, New York, 1977.
- **Mills (Jan):** Woman Words (A vocabulary of culture and patriarchal society). London, Virage Press, 1991.
- **Moscatti:** An Introduction to the Comparative Grammar of Semitic Language. Weisbaden, 1964.
- **Pride (J.B):** Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching. Oxford University Press, 1979.
- **Rosald: (Michell, Zim-ballst):** Woman, Culture and Society. Standford University Press, 1974.
- **Safilios (Roths (ed):** Sociology of Women. U.S.A, 1972.
- **Sepeiser (E.A):** Studies in Semitic Formative. London, 1970.

- **Shehadeh (Ali):** Gender Differences and Second Language Acquisition Research, Journal of Aleppo University, vol, 25, 1994.
- **Shibamoto (J.):** Japanese Women's Language. London, 1985.
- **Showlter (Elaine):** Toward – Feminist Poetics, 1981.
- **Smith (Philip):** Language, The Sexes and Society Basil, Black Well, 1984.
- **Spender (Dale):** Man Made Language. London, 1980.
- **Susan and Ruth King:** Gender – Based Language (The Feminist) U.S.A, 1998.
- **Thorne, Henley:** Language and Sex Differences and Dominance (Women's Language), 1987.
- **Wardhaugh (Ronald):** An Introduction to Sociolinguistics, Black well, Oxford, 1992.
- **W.Wright:** Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Language. Cambridge, 1890.
- _____: The Grammar of the Arabic Language. Cambridge University Press, 1896.